الثقافة

مجلة فكرية تصدر في دمشق

شبكة كتب الشيعة

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية تصدر في دمشق

دمشق ـ ص.ب (٢٥٧٠) هاتف ٢٢٩٩٨٤

كانون الثاني

١٩٧٨

shiabooks.net
mktba.net < رابط بديل

وفـــاء للرجـــال

ومرة أخرى يقف رجالات الفكر في حماة ليكرموا علماً من أعلام الفكر ، وليبرهنوا أن للمخلصين الأوفياء للفتهم وأدبهم نصيباً في حياتهم من التكريم لا بد أن ينالوه ، وواجباً على المنصفين عليهم أن يقدموه اعترافاً ووفاء ·

ومجلة « الثقافة » في هذا العدد ترصد هذه الظـاهرة الكريمة لرجالات حمـاة وتحت رعايـة السيد المحافظ منير بريخان الذي رعى الحفل لتكريم الشاعر الكبير والمربي الغيور عمر يحيى الانسان الذي أنفق من عمره نصف قرن ونيفاً في خدمة أبناء وطنه في مجالات العلم واللغة والوطنية بصمت ، صمت المجاهدين الأبرار ممن لا يطلبون على أداء واجبهم جزاء ولا شكورا ، يشهد له بذلك عارفوه ومقدرو فضله وتلاميذه الذين عرفوا فيه المربي والأب والأخ والصديق ·

وللشاعر الكبير الاستاذ عمر يحيى تحية أسرة « الثقافة » اعترافاً بفضله وأدبه ، وجهاده ووطنيته · ولرجال الفكر ممن أسهموا في تكريم هذا الانسان الكبير الشـكر والتقـدير ، والاعتراف بفضل تحفظه لهم الأجيال ·

رئيس التحرير

كلمة

لجنة الاحتفال

عبد الرزاق الأصفر

راعي الاحتفال ، سيادة محافظ حماه ، ايها الحفل الكريم ..

هذا يوم من ايام الوفاء ، في تاريخ هذه المدينة . وكل ايامها وفاء . اليوم ، تجتمع مدينة حماه ، ممثلة بنخبة ابنائها ، لتعرب عن تكريمها وتقديرها ، لرجل من ابرز رجالاتها ذوي الاعمال المحمودة ، والايادي المشهودة . رجل سبق بالفضل ، وتحلى بالعلم ، وشفع العلم بالعمل . وجلى في ميادين الادب ، وخدم العربية ، لغتنا المشرقة ، ورفع لواء الاصالة ، وحاط بعنايته التراث ، ونذر نفسه لتربية الاجيال وتزويدهم بالمعرفة وتسليحهم بالوعي ، وتحصينهم بالاخلاق ... ذلكم الرجل الذي نحتفي به اليوم هو الاستاذ الكبير عمر يحيى !

رائد من رادة النهضة ، وبان من بناة صرح العلم . ومجاهد صامت . ضحى بالنفس والنفيس لاقالة هذه الامة من مهاوي الجهل وعثرات التخلف ، ومرب قدير تعترف بفضله الاجيال وتزهو بتربيته الرجال .. ذلكم هو الرجل الذي نحتفي به اليوم ، انه استاذ الاساتذة ، عمر يحيى !

اذا كان من الواجب تنظيم رجال العمران والاقتصاد والازدهار المادي فمن الاولى تعظيم بناة الانسان ، لانه به يتم العمران وينهض الاقتصاد وتقوى الامة وبدونه لا يتم اي شيء . بدون مواطن صالح لا تقوم للامة قائمة . وفي مقدمة بناة الانسان العربي في هذا القطر يعد الرجل الذي نحتفل اليوم بتكريمه ، الاستاذ عمر يحيى ..!

ان حماه لتفخر بهذا الفرع الزكي الكريم ، الذي انبتته ورعته حتى صار فارسا من فرسان البيان ، وجهبذا من جهابذة اللغة وعلما من اعلام التربية ، خدم وطنه بكل ما يملك الانسان من الشرف والاخلاص ، وكل ما يتصف به العاشق المتصوف من الحب والبذل ، معرضا عن بوارق المكاسب ، وحطام المغانم ، لا هم له سوى ان يرى اعلام امته ترفرف في اجواء الكرامة والمجد .

حين نكرم الاستاذ عمر يحيى وامثاله نعلن اننا كنا وما نزال مع الفضيلة ، مع الخير ، مع العطاء ، مع البناء ، مع التضحية ، مع كل من يرسخ هذه المبادىء ويجسدها في نفسه وسلوكه ، في وقت يتعرض فيه الكيان العربي لاشد الزلازل ويتعرض فيه الشرف القومي لاصعب المحن واشرس التحديات .

تكريم الانسان بعد وفاته ، هذا من الوفاء الحسن . واحسن منه تكريم المرء في حياته . لان رفع جديلة الفار على هامة مظفر خير وامجد من طرح اكليل الزهور على ضريح فقيد .

ومن هنا كانت هذه السنة الحسنة التي سارت عليها حماة في تكريم ابنائها البررة الذين سلفت لهم فيها الحسنى . وللذين احسنوا الحسنى وزيادة . وسيبقى هذا دأب مدينة حماة مدى الحياة في تكريم رجالها المخلصين .

ايها الاخوة :

ما ان بزغت فكرة تكريم الاستاذ عمر يحيى لدى نفر من اوساط الثقافة والتربية حتى لقيت استحسانا لدى كل من سمع بها ، ولما عرضت الفكرة على اليد محافظ حماه الاستاذ منير بريخان تقبلها قبولا حسنا وشجعها واعطاها منه كل اسباب التحقيق والنجاح . وتفضل برعاية هذا الاحتفال بنفسه . ولا غرابة فقد عهدناه يسعى لتحقيق كل ما تصبو اليه هذه المحافظة من كريم الرغاب ، فضلا عن انه كان تلميذا نجيب وتربى وتعلم على يدي الاستاذ عمر يحيى في عداد الالاف المؤلفة من ابناء هذا الجيل وفيهم الكثيرون ممن نبغوا في مختلف مجالات الحياة .

ها ان براعمك يا عمر قد استحالت اغصانا نضرة ، واصبحت بفضل كلماتك الطيبة ايكا بهيجا تتفيأ ظلاله ، ويؤدي ثمره كل حين ولك اليوم آن تهنأ بنفحات عطرة منه يحمل لك فيها كل الاكبار والمحبة والاجلال .

رحلة عمر

وليد قنباز

ايها السادة ...

ما اجمل ان نمتطي معا زورقا حالما وندع الاشرعة الحريرية تعانق الانسام لننساب في خضم الزمان ونقبس من ثوانيه ودقائقه لقطات ونثرات هي في مجموعها شيء من رحلة عمر لا احلى ولا اشهى ولا اغنى ...

وها نحن اولاء مع نهايات القرن التاسع عشر والعالم العربي يستفيق من نوم عميق وكابوس ثقيل ، ويحاول ان يتبين طريقه ضمن دياجير لا عد لها ولا حصر ، ويرسم هدفه من خلال عادات وتقاليد واحكام قلقة ومضطربة.. وها نحن اولاء في مدينة ابي الفداء نبارك زواج الشيخ العالم يحيى الفرجي من فتاة من آل شاكر

ونرى في الشيخ صورة مثلى للتبحر في العلوم الاسلامية والاستقلال في الاستدلال لها ولسعة الثراء من كنوزها الى رصيد كبير من الورع والاستقامة وحب الادب ومعاناته شعرا ونثرا .. ونرى في الام صورة خالصة من الفضل والتقوى والصلاح ...

ونقف بزورقنا على شاطىء العاصي نذرف الدمع ونحن نرى اولاد الشيخ يحيى يموتون ولما يتجاوزوا السنين الاولى من العمر ، محاولين تخفيف المصاب وبعث الامل الى ان كان عام ١٩٠١ حين ارسلت الشمس خيوطها الاولى لتلتقي مع وادي العاصي بخضرته ومياهه ونواعيره وتهبه النور والحياة حيث اطل على دنيا الشيخ يحيى مولود اسماه «عمر» تيمنا بالفاروق عمر بن الخطاب وتبارك به ووهبه مع الام كل الحنان والسعادة والحب.. والحياة .. نعم وهباه الحياة فهانحن اولاء نرى الاب يودع الدنيا وعمر في الثالثة من عمره ، ولم تجف الدموع بعد .. حتى تودع الام الدنيا بعد شهرين فقط من رحيل الاب .. وها هو ذا عمر يتيم ضائع محروم من الحنان والرعاية والمودة

لا يتذكر من ابويه صورة او كلمة او لفتة ، وهانحن اولاء نرى ابن عمته السيد نعمان الاسعد الكيلاني يعتني به ويحتضنه ، وكان من العلماء البارعين في الفقه والنحو والفرائض ويعجبنا انه اخذه بالشدة وهو لما يتجاوز السابعة من عمره ، فاذا به يحفظ القرآن الكريم

والاجرومية في النحو والرحبية في الفرائض وقماكبيرا من الفية ابن مالك ... وها هو ذا يكنى باسم والده ويطلق عليه الناس اسم عمر بن الشيخ يحيى ، ويرجون ان يروا فيه صورة أبيه ... وها هو ذا يقبل على القراءة بنهم وشره عجيبين ، ويجد في قصص الف ليلة وليلة وحمزة البهلوان وذات الهمة والملك سيف معينا عذبا لا ينضب فيميل اليها الميل كله ويعيد قراءتها اكثر من مرة ...

وتمر الايام ، وتلمح عمر في جامع الشيخ ابراهيم وهو يقرأ الالفية ويستظهرها ونبصر العالم الاديب الشيخ احمد الدرويش يقبل عليه ويرى ما يفعل .. فيقول له: اما كان من الاجدى لك حفظ ديوان الحماسة وعيون الشعر العربي فتستفيد ادبا وقوة ... ونتطلع الى عمر فيبدو وكأنه كان نائما واستيقظ او مغلولا فنشط من عقاله .. فاذا به يقبل على الحماسة وكتب الادب بكل ما عنده من نهم وشره عجيبين للقراءة ما يزالان يلازمانه حتى الساعة .. فيرى دنيا جديدة وآفاقا لم يعهدها من قبل ...

وتتسارع الايام ويدخل مدرسة اعدادي حماه ، ويرى الى جواره في المقعد طفلين نابهين لطيفين الاول هو شاعر العاصي بدر الدين الحامد والثاني هو القاضي الفاضل الشاعر ابراهيم العظم ... وتتناهى الى سمعه الدروس باللغة التركية ويرى نفسه مجبرا على حفظها ولكن اللغة العربية ما لبثت ان عادت الى دنيا التربية والتعليم وكان للمؤتمر السوري يد في ذلك .

ويتابع عمر النهل والعب من موارد العلم والثقافة ويعجب ايما اعجاب باثنين من المدرسين هما الشيخ علي الدلال والدكتور صالح قنباز فيصبح اسيرا لهما ولعطائهما وشخصيتهما .. فيهباه محض المودة والعناية والارشاد ، واما زميلاه عمر وابراهيم فقد اخذا واخذ معهما في قرزمة الشعر ، ولعل احلى اوقاتهم ساعة يسمع كل منهم الآخرين ما نظم وما فاضت به قريحته ...

وينتقل الاصدقاء الى القسم الثانوي، ويشتد عودهم ويصلب ، واذا بنا نرى الرياح تحمل عمر مع نفر من زملائه نعرف منهم قدري العمر وعثمان الحوراني الى الكلية الصلاحية في القدس ، فنرخي لها الاشرعة لتحملنا الى فلسطين والى كليتها الكبرى التي تضم بين جنباتها اكابر المدرسين والعلماء والمصلحين ونتعرف اليهم فاذا نحن امام هيئة اكاديمية يندر ان يجود الزمان بمثلها .. فهذا محمد رستم حيدر للتاريخ والشيخ موسى البديري للفرائض والشيخ امين سويد للحديث والتفسير والمصطلح والشيخ امين العوري للفقه الحنفي والمنطق وجودة الهاشمي للرياضيات ووهبي الوفائي للطبيعيات والشيخ عبد الرحمن سلام والشيخ بدر الدين النعساني واسعاف النشاشيبي للغة العربية والادب العربي ...

اي جو هذا واي ميدان واي نبع دفاق ...!! ها هو ذا عمر يقبل عليها جميعا على انه اخذ يغرق في افق اسعاف النشاشيبي حتى اذنيه .. فالفصاحة واللسن والبيان واللهجة وقوة الحافظة التي وعت كتب الادب الاربعة ومثيلاتها ، وجودة الاختيار للنصوص التي كانت تشكل اروع رصيد في دفاتر الطلبة ... هذه جميعا لا بد ان تضعه في سويداء قلوب الطلبة وفي مقدمتهم عمر ...

وتمر الايام وعمر يدرس العربية والفرنسية والفارسية ، ونقترب من زميله الاديب قدري العمر لنسأله عن عمر .. فيجيب بسرعة :

« اذا دق الجرس كان عمر اول الصامتين وابعدهم عن الزحام واقلهم كلاما واسرعهم انتظاما في النظام » ..

وقد اشتهيت ان يصير الى غرفة الجزاء او غرفة الحرمان ، ولكن دون جدوى .. فهو جد وعمل وصمت يكاد يكون دائما ..».

ويستمر عمر ورفاقه على هذا الى قبيل دخول الجيش العربي القدس ... وها هي ذي الحكومة العثمانية تنقله مع اخوته سيرا على الاقدام الى نابلس ومنها بعد اسبوع الى دمشق ليمكثوا فيها شهرين ، ثم يرسل كل منهم الى بلده .

ولقد كانت هذه السنوات الثلاث التي قضاها في القدس بوتقة صهرت نفسه وروحه وجعلت لقضية فلسطين اثرا كبيرا ومبكرا في شعره ونثره معا .

ويقيم في حماه مدة ليرى طلائع الجيش العربي وهي تدخل المدينة ، ثم يصفق للحكومة العربية مستبشرا خيرا .. وتعمل هذه الحكومة على تعيين مفتي حماه وعالمها الكبير الشيخ سعيد النعساني مفتشا في المعارف والذي يعمل بدوره على تعيين عمر معلما .. ويبقى على هذه الحال الى ان يحضر الاستاذ ساطع الحصري المسؤول الاول عن المعارف فيجري له فحصا خطيا ووجاهيا كان فيهما الاول ... فيثبت معلما في المعارف .

ونتطلع حولنا فنرى هذه البديهة ملاوة من شباب وشعورا يجيش بالامل بوجود دولة عربية مستقلة وامنيات باستمرار هذه الدولة الفتية ، ونرى ان تلك الومضة لم تلبث ان انطفأت فلقد غلب مكر المكرة وخيانة الخونة فكان الوقع في النفوس شديدا ، وكانت ميلون فاجعة الفواجع ، فاذا بعمر وزملائه يعودون الى دنيا الجهاد والنضال التي رضعوا لبانها في الكلية الصلاحية ، وينتسبون الى النادي الادبي ، ويشرع عمر في ردهة هذا النادي باشراف مديره الدكتور صالح ومعاونه الدكتور توفيق الشيشكلي .

ويقبل عام ١٩٢٤ وعمر يعلم في مدرسة برهان الترقي وما تكاد السنة تنتهي حتى نجده مع اثنين من رفاقه وهما بدر الدين الحامد وزاكي الزيتاوي قد اصبحوا محل نقمة المسؤولين في حماة .. فتصدر الاوامر بنقلهم الى كل بلد ..

ويرفض عمر الذهاب الى دير عطية، ويسمع الدكتور صالح بذلك فيطلبه للعمل في مدرسة دار العلم والتربية وهي المدرسة الوحيدة التي كان لها وزنها في ذلك الوقت في توجيه الطلاب توجيها وطنيا ، وكانت محل نقمة المستعمرين ، فيقبل عمر من فوره هذا الطلب على الرغم من ان وزير المعارف قد غير له مكان انتقاله الى حمص وفي دار العلم والتربية تبدأ فترة خصيبة في حياة عمر فكم كانت تقام الحفلات الرائعة في قاعتها الاثرية وباحتها الجميلة الواسعة .. وهي تلتهب وطنية وحماسة .. وفي نهاية شهر ايلول من عام ١٩٢٥ يزور حماة الاديب البحاثة المشهور احمد زكي باشا والدكتور محجوب ثابت وتقيم لهما المدرسة حفلة عامرة ، وهاهو ذا عمر يعتلي المنبر مرحبا بالضيف الكبير ومشيرا الى حبه ملك حماة اسماعيل ابا الفداء ومعرضا بالحالة الصعبة التي كانت تعانيها البلاد :

أمحب اسماعيل .. انك لو ترى
هذي الربوع ولم تعان كروبا
أيام يرهبها الدخيل والبت
حلل المفاخر من بني ايوبا
فترى صلاح الدين فوق حصانه
يزجي الى جيش الخطوب خطوبا
وابو الفداء بعزمه ويراعه
خط المفاخر واستغز شعوبا
هذا حبيبك ما يزال بعزلة
ملقى على هام الطريق جنيبا
وحماة غادته غدت مسلوبة
تمشي البراح وعرضها موهوبا

ويقبل تشرين ، شهر الحزن والاسى ، اذ تخفق ثورة حماة ، ويقتل زعيمها الدكتور صالح ، وتنبعث من عمر وزملائه رنات الحزن وزفرات الاسى تترى مع كل ذكرى وكل مناسبة .

ويبقى عمر في حماة وفي دار العلم مديرا ومعلما للعربية والفرنسية والطبيعة والرياضيات ، ويشرع في نشر الشعر الرومانسي الذي يفيض بالحزن والحرمان والشجو في مجلات العالم العربي كالميزان والكشاف والزهراء والحديث .. ونلمح فيه صورا مما عانته البلاد وتعانيه من ذل الاحتلال وجور المستعمر ، وكم كان يبتهل المناسبات الدينية والقومية ليظهر موقفه من قضية قومه ويثير عاطفة الحماسة داعيا الى المغامرة والاقدام بعزيمة لا تلين .. ويأخذ في العمل مع اخوانه ضد الفرنسيين تحت قيادة الدكتور توفيق الشيشكلي، وكثيرا ما كانوا يعقدون الاجتماعات في غرفته في دار العلم والتربية ..

ويقبل عام ١٩٣٠ وينتقل فيه عمر وننتقل معه الى البحرين بطلب من الاستاذ ساطع الحصري الذي كان في ذلك الوقت رئيسا للمعارف العراقية ، وكان رفيقه المجاهد عثمان الحوراني قد سبقه اليها ، ويقيم هناك

ستة اشهر الى ان تضطر السلطة الانكليزية الى اخراجه وعثمان ليلا منفيين بتهمة تنبيه الافكار وعرض حقيقة الانكليز ودسائسهم ، ولانهما رفضا الموافقة على المنهج الذي كانت السلطة تحاول تطبيقه في البحرين ولما رات من مظاهرات لا عهد لها بها ... وتنشر الاشرعة من جديد لترافقهما الى عمان ونرى معهما البؤس والفقر والشقاء ونبحر بعد اسبوعين الى الهند مبتعدين عن شواطىء البحرين ، ونسمع عمر يصعد في الاجواء زفرة حرى..!

فالوا الى الهند المسير ، فانتم
غرباء في البحرين لا ارحامها
مرحى .. واما الانكليز فانهم
اهل البلاد واهلها ايتامها
الواغلون الشاربون دماءها
الفاصبون لها وهم هدامها
والارض ان نام الحماة يكون من
حظ الذئاب العاسلات سوامها

ونستقر في الهند شهرا ونيفا ، ونقرا مع عمر وعثمان ما في الهند .. البلد العظيم من بؤس ومن تخلف ، وبخاصة حين نرى عمر يتخطى في شوارع بومباي .. العاصمة الثانية ليلا النائمين على الارصفة :

لست في باريز .: باريز لمن
يألف الحب ويهوى المترفين
انا في الهند .. ارى الشرق وما
في حناياه من الداء الدفين
ضاق صدر الشرق عن ابنائه
وحوى من قادة الغرب مئين
ولكم تضحك لما ان ترى
بقرا ترعى واقواما تهون
ولكم تشكو اذا شاهدت في
ساحة الهند جموع البائسين

ونصل مع عمر وعثمان الى العراق ونقيم في بغداد قرابة ثلاثة اشهر ينشر خلالها عمر كثيرا من قصائده ومقالاته وما كان يترجمه عن الفرنسية شعرا ونثرا .. ثم تستقبلهما دمشق .. ومنها الى حماة .. والى دار العلم والتربية من جديد .

وها هو ذا عام ١٩٣٤ ينشر اجنحته على الكون ... وهاهي ذي انطاكية تستقبل عمر ونحن نهلل له ملوحين بالايدي وهو يدخل لؤلؤة اللواء السليب ونقيم معه عامين نشهد فيهما مأساة اللواء وما كان يحاك هناك ؛ ونرى ان من ارسلوا من سورية للدفاع عنه يحتفظون بالاموال في جيوبهم ... ونلمح عمر يفضح معركة اللواء التي دفعتها الخيانة الى حافة الهاوية ، ويتصل بطلابه الاوفياء ليعرفوا من خلال كلماته وآلامه كل شيء ...

بكوا فقد اللواء لنا رياء
وهم باعوا اللواء وضيعوه
اضاعوه لكي تبقى الكراسي
فيا لندم يضيعه ذووه
افيقوا .. ان يمت فلسوف ياتي
زمان فيه يتلوه اخوه

ثم لا نلبث ان ننتقل الى حلب ، وندخل مع عمر ثانوية المأمون وثانوية معاوية للبنات وهما اكبر مدرستين في شمال سورية يؤمهما الطلاب من حماة واللاذقية ودير الزور والرقة وادلب وغيرها .. ونستمع الى دروس الادب العربي العبقة بالذوق وحسن الاختيار وجودة المناقشة والاستنتاج ووفرة الاطلاع .. فلقد قرا عمر واستفاد ، وها هو ذا يقرىء ويفيد ، وها هي ذي افواج الطلبة تتخرج عليه طبقات ممتازة في الروح الادبية والتحقيق العلمي والفكر العميق وقد افاض عليها من روحه واسلوبه حياة وجدة ، واشاع فيها مائية ورونقا ... وفي تلك الفترة اصدر الجزء الاول من ديوانه واسماه « البراعم » وقد ضمنه مختارات من شعره الوطني والوجداني ...

ونمكث في حلب .. طويلا .. طويلا ونشهد مع عمر وقائع الفرنسيين مع الطلاب ، ونرى الشهداء يسقطون امامنا ، وتتناهى صرخات الشاعر في جموع الطلبة الغاضبين فيناجي عينه :

ان فاتك الدمع فلن تجمدي
لي كبد حرى ستبكي معي
خمسا وعشرين شهدنا بها
صحائف الفتك ولم نخضع

في ذمة التاريخ جاري دم
أبى على الذل فلم يصدع

وفي سبيل الله يا من هوى
وما نأى بعد عن المطلع

زملـه الغـدر بأثوابـه
شلت يمين الظلم من أشنع

ونبصر حولنا فنرى حركات النضال ، ومعارك حلب وحماة في سبيل الجلاء .. ونعجب لعمر وجراته ومواقفه الى ان كان الجلاء ... اليوم الاغر ، واذا به يطلق اغرودته من أعمق اعماقه :

شق جيب الليل عن بيض الاماني
فاخفقي يا رايتي فوق المغاني

بسمة الفجر والحان الضحى
ونشيد المجد يسمو باتزان

وصلاح الدين في جحفله
عارض الرمح على ظهر الحصان

يلمح التاريخ في مفرقه
بسمة الظافر في الحرب العوان

سقط الباغي على اقدامه
دامي الجرح سقوط الافعوان

ومع عام ١٩٥٠ نعود الى حماة ، لنصغي الى عمر مدرسا للادب العربي ، ومديرا للتربية ، ونبصر فيه خلال سبع سنوات عقلا راجحا لا يخيس وزنه وبصيرة نافذة الى ما وراء المظاهر الغرارة ، وفكرا غواصا على حقائق الاشياء ، وذكاء تشف له الحجب واطلاعا على الامور كبيرها وصغيرها، واستعدادا قويا متمكنا للتجديد والاصلاح ... وكان لا بد لهذه المزايا والخصال من حاسدين واعداء ومرجفين ، فكانت المحاولات تترى لعزله ، الى ان نجحت في عام ١٩٥٧ ويعين مديرا لثانوية السيدة عائشة لمدة عام واحد ... وينقل بعدها مديرا للتربية في حمص ، ويبقى فيها الى ان يحال على التقاعد عام ١٩٦٠ ويعود ... ونعود معه الى حماة ، ونمكث فيها مدة ، ثم ننتقل الى حلب لنرى الاب الحاني وهو يرعى أولاده ويعينهم على الدراسة في جامعتها ..

ومع افتتاح كلية الآداب في هذه الجامعة عام ١٩٦٦ كان للمشرفين عليها ، وجلهم من طلبة عمر ومحبيه ، بحث عن الاساتذة الكبار والعلماء الباحثين، والادباء ، المتمكنين ... وكان عمر يحيى في مقدمتهم .. ويقبل العمل الجديد ويختار تدريس مادتي النحو والعروض ويسمو ، وتبدو امكاناته وموسوعية ثقافته للطلاب والاساتذة على حد سواء ، ويستمر على ذلك سبع سنوات كاملة دون كلل او ملل ... وفي تلك الفترة هيأ الكثير من قصائده وجعل لنا عناوين مناسبة ورتبها في ديوان ضخم وفيها من قديم شعره وحديثه واعده للطبع يعاونه في ذلك الاستاذ الاديب محمود فاخوري ..

ويقبل عام ١٩٧٣ فنرى ان السنوات السبعين قد اثقلت كاهله ، وان صحته قد شرعت في التدهور بعد ان بدات تتعاورها الاسقام ... واذا به يؤثر ان يترك التدريس رغم الحاح المشرفين وترك الاقسام ثلاثة اشهر كاملة تنتظر عودة عمر ولقاءه .. ولكنه لم يعد ... وفاء الى بيته وذكرياته وقد خلف في الميدان آلافا من الطلاب يلهجون بذكره وعلمه وفضله وعطائه .. واعوامه الثمانية والخمسين التي قضاها في خدمة التربية والتعليم وكان فيها الكاتب الاديب والشاعر الجريء والمعلم الكبير والمناضل الثائر ...

ومنذ شهور تنادت عصبة من أدباء هذه المدينة الى لقاء تمخض عن فكرة اقامة مهرجان تكريم للرجل الكبير ، وحملت الفكرة الى سيادة المحافظ فأيدها مقدما كل الدعم والمساعدة ، ووضع عمر بحيائه وعزلته وانطوائيته امام الامر الواقع وكان لا بد من الموافقة ... وها نحن أولاء جميعا نسمعك يا ابا طريف همسة الشكر وبسمة العرفان وتحية الاكبار وهي اقل ما يمكن تقديمه بعد رحلة الستة والسبعين عاما آملين ان نقدم لك في الثمانين والتسعين والمائة بعض ما يليق بك ومصعدين من الاعماق دعاءنا بأن يمد الله في عمرك، ويزيدك من فضله وخيره ويسبغ عليك اردية الصحة والعافية لتبقى قدوة في العاملين وصورة مثلى للرجال المخلصين والوطنيين الصادقين والادباء والشعراء المتفوقين ...

وليد قنباز

طائر الدوح .. ياحماة

نذير الحسامي

كرّميه وطيّبي ألعانه وانشري في ربا الحمى ريحانه
أنت يادار دوحه كرم الدوح يصون الهوى ويكرم شانه
يعرف الطير بين أفيائه الانس ويلقي في جانحيه أمانه
ان نأى طيره يحن اليه فاذا ما دنا شفى تحنانه
بورك الدوح يخفق الحب فيه نم على ظله تجد خفقانه
يورق الشعر والندى في حماه كل شاد لديه ينزل بانه
سكن الطير لم يعف فيه سكناه ولم ينس في النوى سكانه
انه الدوح ٠٠ سل (حماة) أكانت في مجال التغريد الا لسانه ؟
سل (حماة) العطاء هل عرف المعروف الا في راحتيها مكانه ؟
مرضع المكرمات أي اباء لم يجد دره بها ولبانه ؟
تتلقى الغياب أما رؤما فهي غمد السيوف وهي الكنانه
جنحت كل طائر في علاها وسقته بكأسها عنفوانه
وانحنت بالفؤاد تهفو للقياه وتكسو من غارها تيجانه
ما تراها ولهى بصداحها الشادي وقد اسكر الحنين جنانه ؟
ها هي الآن في يديها الرياحين تحلي بزهوها مهرجانه

★ ★

شاعر مترف المعاني على الايام ما زال يكتسي ريعانه
مرهف النبرة الشجية بالشجو اذا ما هفا يصخر ألانه
لم يهجن صرف الزمان لغاه او تغضن يد الليالي بيانه

يسأل القلب : هل نرى أن تغنى بحتري الانشاد أم حسانه
الفصيح البليغ نسج قوافيه فلله ما أدق بنانه
قيل : شيخ القريض قلت : ولكن بز في فسحة المدى فتيانه
كم أدار الرؤوس شوق تولاه وهز الكؤوس وجد أعانه
(النواعير) لم تزل في بكاها تتملى على الاسى ارنانه
تتصبى على النهار هواه وتغنى مع الدجى اشجانه
والبساتين لم تزل في جناها يتشهى ربيعها نيسانه
تتفاوى على فتون معانيه وتزهو به يزف افتتانه
والبساط الذي يمد ويطوى لم يزل باسطا عليه خوانه
قم تر الاقحوان يوميء باللحظ ٠٠ وهيهات ما جنى أقحوانه !
يكرم الورد بالتعبد للورد ويأبى على الجمال امتهانه
قم تأمله اذ يسبح للحسن على وجده به ٠٠ سبحانه
هل ترى غير طائف مستهام ملك الحسن قلبه حين صانه ؟
أريحي رداؤه الادب السمح ونفس من القذى عريانه
زهر آذار رأسه فاجن يا سامر تفاحه وذق رمانه
سندسي التغريد ان سئل البلبل : اين الذي يؤاخيك ؟ كانه
في امانيه نابغي الليالي هات يا ليل واصدحي يا لبانه
الزمان المسعور كاس لياليه فمن ناقه يذق نيرانه
والدوالي جفت على درب دنياه وجافى طير الضحى بستانه
ومضى بالجوى يشرده الليل كما شرد الاسى خلانه
في حواشي الدجى تعربد حانات وتغريه حانة بعد حانه
لم يعرج على صداها ولم يملأ على الغل من خناها دنانه
يتصباه حلم عان بأيك طهرت في حماه حتى المجانه

★ ★

عمري ولست ادري أزان الخلق في شعره أم الخلق زانه ؟
لم يدنس نعليه في حمأ الذل ولم تلو جانحيه استكانه
شمم الشاعر الابي اذا كفت مراميه لم يكفكف عنانه
سيد في عفافه لم يرضه طمع راض في الورى عبدانه !

تتنادى من حوله مهج العافين جوعا كأنها جبّانه !!
تترامى على الدنايا ذبابا جائما لم يبال طعم النتانه
هويت في صغارها ما قلاه لا الهوى زانها ولا المقت شانه
في زمان تخطفته الدياجي كاد ينسى فيه الشروق زمانه !
واذا جاعت المروءة في الصدر فبارك هوانها وهوانه !!
كل جوع في منطق الظن الا ان تجوع المروءة الشبعانه

★ ★

كرميه يا دار واروي على الروض سجايا سحابة هتانه
شرف منك ان تردي اليها بعضها .. أنت انت أخت الامانه
أي ورقاء ضمها منك جنح لم تذق من جنى الهوى ألوانه ؟
قبل أن يغرب النهار بمغناك تحيينه وتجزين آنه
بجليه معلما فجر الحرف واجرى بين الربا غدرانه
بجليه .. يضيء غاشية الجيل ويذكي بناره وجدانه
قلديه هواك حمدا جميلا طالما قلد الحمى احسانه
أو ما كان ثاني اثنين في الدوح أقاما لأيكه سلطانه ؟
اذكري ان ذكرته (البدر)(١) واحكي عن أخ ما طوى الدجى لمانه
فقد الدوح سكرتيه(٢) فيا للدوح يبكي على الهوى كروانه
فكأني أراه يشهد ناديا ويشدو مسلسلا الحانه !
وكأني ألقاه طيفا من الحب يساقي أحبابه أحزانه

★ ★

ايه يا ايكة بكل طريف فيك يجلو (أبو الطريف) حسانه
كرمي شاعر الحمى وأقيمي عرس من كنت حبه وحنانه
عربي اللسان والقلب والابداع لا عجمة وليس رطانه
فارس يمتطي المحجل في القول اذا ما امتطى الدعي آتانه !
لم ينفره عن سلاف قديم مدع ما له بشرب لبانه
أيذم الرحيق يا معشر الشرب اذا عتق الزمان أوانه ؟ !
صائن للبيان عرضا أغارت في حماة خناجر طعانه !!
مغزل الشعر في يديهم عصاهم فتألوا أن ينسجوا أكفانه !!

ظلموا الحسن وهـو برهـان حق بجديد لم يعطنا برهانه !
يمسخون القصيد هذرا من القول فمن لاكـــه يمج زؤانـــه
نقموا السحر والاصالة في الشعر فآلوا أن يكســـــروا ميزانه !!
ما وراء البهتان ؟ أستغفر الفصحى أيرمي رام بها بهتانـــــه ؟!
ما وراء الدخان تحت دجى الليل ؟ أيجلو لنا الضحى كهانه ؟
يا حماة البيان اين أياديكـــم ألا تكشفون عنه دخانـــــه ؟!
نحـــن أهل الجديد كل جديد لـــــم يجد عند غـيرنا تبيانـــه
أيكاد التاريخ زورا وظلما كيف يعفو التاريخ عمـــن أهانـــه ؟
صاحبي الشيخ واعبري بالاســـــى الدمع ولا تبلغي بـــه شطآنه
شمخت روحه وعزت رواسيها فهل يطرق الضنى بنيانه ؟
خشع الحب ·· فالثمـــي كاهـــل المضنـــى وزفـــي الى العلا ايمانه
عانقي جرحه على جرح أهليه وراعي عـــلى الاذى ثورانـــــه
ان تغني هم العروبة زيديـــه أليست ديارهـــــا أوطانـــــه ؟
واسكبي من شجونهـــا في لياليـــــه وصبي كؤوسها الغصانـــه
علـــم الجيل كيف ينهـــد للذود فمن ذا اعاره خذلانـــــه ؟
ضامه أن يرى العروبة تسبـــى ويدق السابـــي لها صلبانـــه
وشجاه أن لا يشب لظى الساح حمـــيّ جرح السبـــي استعانه !
كيف تدمـــى عـــلى الصليب فترمـــى هل يكون الصليب صك ادانه ؟
جمجمات ·· ويلجم الغضب الظامي فيرتد لاعنا ارسانـــــه
أترد الخيل المناجيد باللجم ولا يبلغ الفـــدا ميدانـــــه ؟!
أين برق الصهيـــل ؟ أين صلاح الدين هل كسر الزمان سنانه ؟
يا لجرح الاقصى تلفت للثأر فلم يلق حوله فرسانـــــه !
أتصيح الجراح : يا آسي الحي فيمسي آسي الحمـــى بهلوانه ؟!
يا لعار الحق الذبيح أيطوى سيفه قبل ان يرى معممانه ؟!
وينوش الطفـــاة عرضـــا مدمى يســأل الله أن يـــرى شـــجعانه ؟!
يا لظى الكبرياء شقي الدياجي لا تقولي : هبت رياح الخيانه !!

دمشق ـ نذير العسامي

---

١ ـ شاعر العاصي المرحوم بدر الدين الحامد

٢ ـ اشارة الى قول الشاعر الراحل من قصيدة :

أنا في سكرين من خمر وعـــين

صديقي عمر

هاشم صيادي

سيداتي ، سادتي ايها الحفل الكريم !

ان الفئة الطيبة التي فكرت في اقامة هذه الحفلة التكريمية ارتأت أن اكون بين المتكلمين وان القي دلوي بين دلائهم باعتبار المحتفى به استاذي وصديقي الحميم فعددت هذا التكليف بالمشاركة شرفا عظيما لي فلبيت طائعا وانا قانع بعجزي ان اكون من فرسان الحلبة وابطال الكلام في مثل هذا الميدان . وجدا لو اسعفني المنطق واللسان والقلم للتعبير عما يكنه قلبي نحو استاذي الجليل من عواطف جياشة ومحبة صادقة ، واذا ما الشاعر العربي القديم :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فانه عني اناسا آخرين غيري ، يمتلكون ناصية الكلام ويستطيعون الابانة والتعبير بلسانهم وقلمهم عما يخالج جوانحهم وعما يعتمل في صدورهم وان لساني لعاجز عن اداء رسالته في كشف خفايا قلبي وبث شجونه . وحسبي عزاء انني حاولت وانني بذلت جهد المقل ليس الا .

ايها الحفل الكريم ايها السيدات والسادة !

درج الناس على الاحتفاء بالفاضلين وكرام القوم من

بعد ان يتركوا الدنيا ويودعوا هذه الحياة على حد قول البازجي الكبير :

لا يحمد القوم الفتى الا متى
مات فيعطى حقه تحت البلى

وان هذا الاحتفاء وهذا التكريم الذي نجتمع كلنا للمشاركة به لهو بدعة حسنة سبق لفئة كريمة ولنفر من مفكري هذا البلد الطيب ، المجلى في ميادين المآثر والمكرمات ان قاموا بمثل هذا الاحتفاء في عام ١٩٥٧ لتكريم سيد العلماء وامام المربين المغفور له الشيخ سعيد النعمان مفتي حماه الاسبق طيب الله ثراه وقاموا ايضا ومن عهد قريب بتكريم الاديب الكبير والشاعر المبدع الملهم الدكتور وجيه البارودي وهاهم اولاء اليوم يصلون الخير بالخير والفضل بالفضل ويدعمون هذه البدعة الحسنة بل الممتازة في تكريم مربي الاجيال وقدوة العلماء الاعلام الاديب الثبت والشاعر الكبير المبدع الاستاذ عمر يحيى فلهذه الفئة الخيرة من ابناء حماه اجر هذه البدعة وأجر من سيعمل بها من العرب الى يوم القيامة .

الاحتفاء ايها السيدات والسادة بالانسان العامل الفاضل في حال حياته ظاهرة نبيلة ان دلت على شيء

فانما تدل على يقظة ضمير الامة وسمو المجتمع وعلى ان الخير بدأ ينفض غبار البلى عن جفنيه وينهض من كبوته ويظهر من جديد على مسرح حياتنا ليلعب دوره البناء في خدمة مجتمعنا العربي وانساننا العربي الجديد ، وقيادة هذا الانسان في الطريق الاقوم للوصول به الى اهدافه السامية ومثله العليا .

فالعلم ايها السيدات والسادة والعمل المجدي والفضيلة كلها مقومات يجب ان تحتل مكانها الاساسي في حياتنا لبناء مجتمع افضل وغد زاخر بالجمال والسعادة الحقيقية ويجب ان يحتفى دائما بارباب تلك المقومات ممن يحملون شعاراتها وسماتها الصادقة ، من علماء وادباء ورجال فكر وعمال مخلصين في عملهم ، حتى يكون ذلك مشجعا وحافزا لدعم ركب الحضارة وصقل جوهر الانسان العربي وحتى لا تضيع المروءة من بين ظهرانينا ومن مجتمعنا الجديد، وقد كانت قديما صفة اصيلة بارزة من صفاته وسمة مميزة من سماته فلنبق حريصين جميعا على المروءة تلك الدرة الغالية والجوهرة الثمينة التي تزدان بها لا بغيرها ايامنا في الحاضر والمستقبل ونكون بذلك قد حمينا مجدنا القديم التليد بمجد حديث طريف . وان مجرد التغني بالامجاد السالفة والمآثر الماضية لمعنى فارغ وعملية جوفاء لا تسمن ولا تغني من جوع ولا تخدع الا الحمقى وقاصري العقول ، وان العمل المخلص الدءوب ، ولم شتات المجتمع المتفكك وتمتين اواصر المحبة بين افراده لما تقر به عيون الآباء والاجداد تحت اطباق الثرى . فلنكرم من يستحق التكريم ، ولنحتف بمن هو جدير بالحفاوة فهذا عمل نبيل واصيل ، يجب الا يخلو منه مجتمعنا العربي ولنجعل شعارنا في ذلك على الدوام قول شيخ المعرة ابي العلاء :

فلتفعل النفس الجميل لانه خير واحسن لا لاجل ثوابها

استاذي الجليل ابا طريف ! هذي كرام الناس جاءت تحتفي بجميل ما قدمت احسان ايها الاستاذ الجليل ! ان من لم يسعده الحظ ان يكون تلميذك على مقاعد الدرس فيمكن ان يعتبر نفسه تلميذا لك من خلال تذوقه ادبك الرفيع وعلمك الغزير مما نشر لك في الصحف والمجلات المتنوعة عبر السنين والايام الخوالي ، وما سينشر لك في المستقبل ان شاء الله من مخزون علمك وادبك ، وان طلابك الكثيرين الذين متحوا من معينك ونهلوا من ينبوع فضلك نهلات صافية قاموا بدورهم وهم لا يزالون يقومون بخدمة هذه الامة ورفع شأنها في شتى مجالات الحياة ... ان اياديك البيضاء التي اسديتها لامتك ومجتمعك ولا تزال تسديها عن طريق التعليم وعن طريق مشاركتك الفعالة في معركة العلم والثقافة والتوجيه القومي الصحيح ، كل ذلك لن ينسى وسيبقى خالدا في نفس المخلصين . ولن يحتاج الى كبير عناء للتدليل عليه اذ لا يصح في الافهام شيء اذا احتاج النهار الى دليل على تعبير ابي الطيب المتنبي ...

قد يتجاهل ذلك من مرض ضميره وساءت نفسه ، فهذا لا يضير علو مقامك ايها الاستاذ الجليل ولا رفعة شانك . ولا غرابة في مثل ذلك الشذوذ فقد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ، ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا . واني لاعتقد يا ابا طريف انك بما فطرت عليه من نبل وسمو لتعذر المقل العمياء التي لا ترى فضلك وما قدمته من ايادٍ بيضاء لخدمة الاجيال الكثيرة التي مرت واحسبني اسمع لسان الحال منك يردد حيال امثال هؤلاء المكابرين او الجاحدين قول العباس ابن مرداس السلمي الشاعر والبطل العربي القديم : فان اك في شراركم قليلا فاني في خياركم كثير وهذا هو صاحب القصيدة المشهورة التي منها :

ترى الرجل النحيف فتزدريه

وفي اثوابه اسد مزير

ويعجبك الطرير فتبتليه

فيخلف ظنك الرجل الطرير

فما عظم الرجال لهم بفخر

ولكن فخرهم كرم وخير

لقد عظم البعير بغير لب

فلم يستغن بالعظم البعير

ولقد استنر عليك في يوم من الايام بعض البغاث وتطاول عليك نفر من أقزام الرجال ممن لا خلاق لهم ولا رصيد من عمل صالح فباءت محاولتهم بالخذلان وبغضب من الله والناس وعجزوا عن نحت أمثلتك واوهى قرونهم العجينية ان تنال من صخرتك الصلدة الشماء ومن رجولتك الفذة ومن عظيم فضلك فجعلت تنظر اليهم من عليائك مشفقا محوقلا قائلا حسبنا الله ونعم الوكيل .

ان استاذنا ابا طريف يرى راي الامام الشافعي رضي الله عنه : ففي الناس ابدال وفي الترك راحة وفي القلب صبر للحبيب ولو جفا ، ولذلك فهو يحيا اليوم حياة ناسك في صومعته ان في حلب الشهباء محط آماله ومهوى مناه او في حماة مدينة ابي الفداء مرتع طفولته ومربع صباه ، المدينتين اللتين اولاهما حبه الكبير وقسم حياته بينهما وقد ألقى الآن عصا التسيار واستقرت به النوى وخلد الى الراحة والهدوء يتجاذبه هوى جامع وحب عميق للمدينتين الخالدتين المذكورتين ولاصدقائه الكثيرين فيهما ، اذن هو ناسك ولكنه ناسك من نوع خاص فلم يهجر الناس ولا هجره الناس كما يفعل النساك عادة ، وصومعة ليست بعيدة المنال عن قاصديها ومريديها ونفسه الشاعرة الحساسة لاتستطيع ان تبتعد عن المحبين وان تحيا حياة العزلة القاتلة فطلابه الكثيرون وعارفو فضله يحجون اليه كلما سنحت لهم فرصة او وجدوا الى ذلك سبيلا والعلائق الودية بينه وبينهم معقودة والارحام موصولة والاواصر متينة لا تنفصم عراها اذ لا تزال بقايا وفاء واخلاص في هذه الدنيا الغابة المتجهمة التي يكاد معين الخير ان ينضب فيها فهناك اناس اوفياء حقا للاستاذ الجليل وهو جدير كل الجدارة بالبر والوفاء ـ يجدون متعة وسعادة في الجلوس بين يديه يستمتعون بحديثه العذب المصفى عن ذكرياته وعن ايامه الماضية وايام الوطن الغابرة وهو عميق الاطلاع على ماضي امتنا وحاضرها وفترات عزها وشقائها يتمثل في ذهنه تاريخها القديم والحديث مع صدق وتجرد وامانة وصدق واجادة في التصوير شأن الاديب الاريب والعالم الثبت الواسع الاطلاع .. واني لا اذيع سرا اذا قلت ان استاذنا حفظه الله قد شارف على الثمانين ولكن لم تحوج الثمانون سمعه والحمد لله الى ترجمان فهو لا يزال قوي العزيمة جم النشاط متوقد الذهن يملأ مجلسه مع اخوانه الخلص انسا ولطفا ودعابة ويشعر مجالسه بروح الشباب وهمة الشباب تسريان في عروقه وفي نفسه المرحة وقد قضى من حياته هذه في التعليم ونشر الثقافة والعلم في المدارس على اختلاف درجاتها قرابة ستين عاما يخدم باخلاص منقطع النظير الناشئة والاجيال المتعاقبة . منها ستة دراسية في البحرين مع زميله المرحوم عثمان الحوراني وقرابة ٢٥ عاما في حماه بين مدرس ومدير لدار العلم والتربية ومديرا للمعارف وسنتين في انطاكية من اللواء السليب سنة في حمص مديرا للتربية فيها و ٢٩ عاما او اكثر قبل التقاعد وبعده في حلب الشهباء مدرسا للغة العربية وآدابها في الصفوف العليا من مدارسها الثانوية وفي كلية الآداب ومديرا بعض الوقت لثانوية المأمون فيها وانكم لتعجبون كثيرا وتذهلون معي اذا قلت لكم انه خرج من هذه المعركة او بالاحرى من هذه المرحلة التعليمية الطويلة الامد بصفة المغبون اذ لا يتجاوز راتبه التقاعدي مع التعويض العائلي ٤٥٠ ل.س ويستطيع كل منكم ان يتوصل لمعرفة ذلك اذا اراد الاطلاع على دخائل الامور ..

لماذا نكرم استاذنا ابا طريف ؟!

نكرمه لانه مرب حقا وعالم ثبت جليل القدر عالي المقام ، لانه معلم اخلص لرسالته فاداها بامانة وصوفية صادقة وان المعلم من هذا النمط لهو رسول او يكاد رسولا كما قال امير الشعراء شوقي رحمه الله لانه ينشيء انفسا وعقولا واستاذنا يؤكد هذا المعنى في اكثر من مناسبة في قصائده فهو يقول في احداها :

لا ترتقي الامم الكبار بحشدها
بل بارتقاء معلم تتقدم

ويتحدث عن المعلم صانع الاجيال من قصيدة اخرى :

ما خلد التاريخ في صحفه
مثل الذي علم او هذبا

والعلماء الفاضلون والمعلمون الحقيقيون والاحرار من رجال الفكر هم ايها السيدات والسادة ورثة الانبياء وقادة الشعوب الحقيقيون وهم محل اعتزاز الامم الراقية وموضع فخارها ويكفي تدليلا على ذلك ان نسمع ما قاله « كارليل » بهذا الصدد :لو سئلنا نحن الانكليز : اي شيء تفضلون ؟ ان تخسروا شكسبير ام الهند ـ وكانت يومذاك اثمن درة في تاج الامبراطورية لاجاب الساسة منا بما هو معروف « شكسبير » اما نحن الشعب فنقول بل لنفقد الهند وكل مستعمراتنا وليبق لنا شكسبير وامثاله من ممثلي شخصيتنا الروحية نعم ياسادتي فقد تكون للسياسة لغتها الخاصة وللساسة منطقهم الخاص ولكن الشعب الذي يحترم نفسه يحترم قبل كل شيء معلميه وعلماءه وادباءه وحاملي لواء الفكر فيه .

ولعمري اذا ما قيست جهود الاعلام وزينت بالموازين الصحيحة وسجل الكرام الكاتبون لكل حابه لكان استاذنا الجليل ابو طريف في طليعة من خدموا امتهم وبلادهم واستحقوا عن جدارة تقدير الوطن لهم .

وتكرم ابا طريف : لعزة نفسه وابائها وهو في ذلك مضرب المثل فهو يعيش قانعا من دنياه بالقليل في زمن اسفت فيه الاهواء وطغت عليه المادة حتى اصبحت هي وحدها مقياس الحياة ومدار قيمتها ومحور اهتمامها وهو براتبه الضئيل والضئيل جدا وفي مثل هذه الايام القاسية من الذين يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ويعيش عيشة راضية ويجد ان نفس الحر تحتمل وان النفس راغبة اذا رغبتها واذا ترد الى قليل تقنع وهيهات هيهات ان يطلع احد على ما تنطوي عليه نفسه السامية من انفعالات داخلية ولدتها قسوة الحياة وجور الايام ..

تكرمه لانه يحتقر الخنوع ويمقته خصوصا من العالم والاديب ورجل الفكر ويرثى لحال هؤلاء الذين ضلوا واضلوا واضاعوا حرمة العلم ودنسوا قداسة الفكر بخنوعهم وانقيادهم لنزواتهم واهوائهم ومطامعهم الدنيوية فأرسل صرخة مدوية من اعماقه مشوبة بالالم والاسى فيها عظة بالغة وتعريض بمن هانت عليهم نفوسهم وذواتهم فكانت على الناس اهونا فلنسمعه يقول :

ولما رايت العز امحل ربعه
رحلت وعندي عزة وابآء

تغربت لا اشكو الشقاء وانما
مقامي مخفوض الجناح شقاء

ومن يلتمس عزا يجد شدة الظما
بلالا اذا راع الذليل بلاء

وهذا ما يذكرنا بقول القاضي الجرجاني رحمه الله في عزة النفس الذي كثيرا ما يتمثل به استاذنا الجليل :

يقولون لي فيك انقباض وانما
راوا رجلا عن موقف الذل احجما

ارى الناس من داناهم هان عندهم
ومن اكرمته عزة النفس اكرما

ولم اقض حق العلم ان كان كلما
بدا طمع صيرته لي سلما

اذا قيل هذا منهل قلت قد ارى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما

اشقى به غرسا واجنيه ذلة
اذن فاتباع الجهل قد كان اخزما

ولو ان اهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن اهانوه فهانوا ودنسوا
محياه بالاطماع حتى تجهما ..

وتكرمه لانه نبيل العصر صادق العاطفة ينسجم قوله مع فعله وفعله مع قوله :

رونق الصدق فيه باد ومازا ل الى الصدق كل سمع يتوق

طرق جميع ابواب الشعر وحلق وابدع وكان صادق العاطفة في جميعها فلم يمدح ولم يرث مثلا الا من يستحق المدح والرثاء فيمدح العلماء الاعلام على اختلاف مواطنهم وجنسياتهم ويمدح العظماء من بني قومه ويرثيهم اذا فجع الوطن بواحد منهم ويرثي اصدقاءه الخلص اذا فجع هو بهم ويبكيهم بكاء مرا وتتقطع نفسهم حسرات عليهم وعلى الشهداء والعظماء الذين افتقدتهم الامة وفجع بهم الوطن .

نكرمه لانه وهو في هذه السن المتقدمة يريد ان يتابع برغبة ملحة مركب الثقافة ونمشي معه جنبا الى جنب يريد ان يعيش دائما مع الفكر والمعرفة ويطلع على كل جديد في هذا الميدان الواسع المدى فهل ينصف الزمان — ولو متأخرا — استاذنا الجليل فيقتني ما يريد من كتب حبيبة الى نفسه فيضيفها الى مكتبته العامرة وهل تسمفه الايام ان يخرج ديوانه الثاني المهيأ للطبع من مخبئه الى حيز الوجود فلا يحرم منه رجال العلم وطلاب المعرفة وهل يستطيع ان يجمع آثاره الكثيرة والمبعثرة هنا وهناك في ثنايا الصحف والمجلات فيضمها بعد شتات باقة واحدة الى المكتبة العربية حقق الله الآمال واظفره واظفرنا بالاماني العذاب . . .

كنت اريد ان احدثكم قليلا عن ادب الاستاذ وشعره ولكن تهيبت الموقف وخشيت ان اتورط وتزل بي القدم واتيه في اودية الشعر واضل في مسالكه وهل يفتى ايها السادة ومالك في المدينه ومالكنا في هذه الامسية الطيبة وادابها في كلية الآداب هو الاديب الكبير الدكتور عمر الدقاق عميد كلية الآداب في حلب وزميله فيها الاديب الاريب والمحقق الثبت الاستاذ محمود الفاخوري الابن البار لهذا البلد دفعها حق الوفاء والبر ان يشتركا بهذا الاحتفال النبيل وسيتحدثان لكم عن علم استاذنا ودوره في التعليم وعن شعره وسيكون لنا جميعا من كلمتيهما في هذا المجال الكفاية كلها والغناء كله . . .

ما احوجنا في هذه الايام الى امثال استاذنا الجليل ابي طريف معرفة واسعة في وداعة الطفل وخدمة مخلصة في سكون وهدوء واندفاع في تواضع منقطع النظير نحو تلبية نداء الواجب في خدمة امته خدمة صحيحة بعيدة كل البعد عن الزيف والرياء ينفر بشكل ملموس من تسلط الاضواء عليه ومن حب الظهور والسعي وراء الشهرة الكاذبة وينبذ بذلك الوباء الفتاك الذي بدا يلم ببعض عناصر المفكرين من ابناء هذه الامة ويشبه امثال هؤلاء بالمذنبات التي تتألق بفتة ولا يلبث ان يمحي القها ويخبو ضوءها أو يشبههم — على لغة الفقهاء — بالفجر الكاذب الذي يلوح بالافق مستعرضا كذنب الثعلب فيخدع الابصار ثم يختفي بعد قليل مخلفا وراءه العتمة القاتمة والظلام الدامس .

وبعد اني ارفع خالص شكري مقرونا بالتقدير والاحترام للجنة الاحتفال وللصديق الكريم السيد المحافظ الذي كان له فضل كبير في صيرورة هذه الحفلة التكريمية الجليلة واخراجها الى حيز الوجود ورعايتها، وبهذه المناسبة اقول بكل صدق واخلاص لقد مر على هذا البلد — الذي يذكر المآثر والايادي البيضاء — مر محافظون كثيرون كانت تتمثل في بعضهم الرجولة الحقة والعمل باخلاص للصالح العام اذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر السيد رشيد طليع وقد كان محافظا لمدينتنا حماه فترة من الزمن بعد الحرب العالمية الاولى وسجله ناصع مليء بالمآثر والجهاد القومي واذكر بالخير السادة خيري رضا وسعيد السيد وكان لهذا الاخير فضل كبير وموقف مشرف في احباط مؤامرة دنيئة حيكت خيوطها في الوزارة لابعاد استاذنا عن مديرية التربية في حماه واذكر كذلك السيد ياسين الفرجاني الذي كان محافظا لهذا البلد خلال ايام الوحدة حقق الله آمالنا بعودتها وكان ايضا من خيرة الرجال واخلصهم ومن حسن محافظتنا ان يكون على راس ادارتها الصديق السيد منير بريخان الذي لا تنقصه الرجولة والحنكة والاخلاص في العمل والكفاءة الادارية التامة وكان في مقدمه خيرا لهذه المحافظة فلقد جنبها بحكمته وبعد نظره كثيرا من المتاعب التي لم تكن بالحسبان ولو كانت الرياح مواتية تجري بما تشتهي السفينة وربانها للاقى منه بلدنا الخير الكثير وفقه الله في اداء رسالته واتمام مهمته .

هذا واني لمتفائل جدا بخير حماه يفدقه ابناؤهـــا المخلصون البررة من ادباء وشعراء ورجال فكر ومعلمين وعمال مخلصين يقومون بواجبهم على اتمه لرفع اسم هذا البلد الطيب بلد الجهاد والتضحيات والبطولات ولجعل سمعته عطرة يتضوع اريجها في الوطن العربي كله . ومهمة رجال الفكر مهمة سامية نبيلة حقا في مجال التوعية والارشاد والتوجيه القومي الصحيح بدافع من صوت ضمائرهم الحية . وانني لواثق ان رجال الثقافة في هذا البلد وحاملي لواء الفكر سوف يكونون دائما عند حسن ظن الاجيال القادمة بهـــم روادا حقيقين يقودون الى المثل العليا ويدلون علـى الخير ويحاولون ان يكونوا قدوة صالحة في نشر المحبة والاخاء بين انفسهم اولا ثم بين سائر المواطنين ليبرهنوا انهم ادباء حقا ورجال فكر جديرون بالاحترام وليبق متمثلا في اذهانهم دائما قول الدكتور صموئيل جونسون الناقد الادبي الشهير « ان الادب الحقيقي وسيلة لتطهير النفس والسمو بها الى مستوى الانفعالات الانسانية . واريد بهذه المناسبة الطيبة ان نذكر انفسنا جميعـــا بكلمة اسكندر ديماس الكبير التي يقول فيها : اسمـع كل يوم من يقول من يستطيع اصلاحنا ؟! لا تجهـــد نفسك ايها السائل بالبحث عن هذا الرجل فانا ادلك عليه انه عندك وبين يديك انه انت وانا وكل فرد منـا وان العمل البناء هو المقياس الحقيقي لقيمة الانسان .. فلنعاهد الله ونحن مجتمعون في هذا الاحتفال النبيل بتكريم المربي الكبير ابي طريف ان نكون جميعا علـى مستوى مسؤولياتنا وعلى مستوى المثل العليا لنجعل من بلدنا هذا نواة طيبة وحجيرة صالحة في جسم امتنا العربية التي لا تزال برغم ما مر بها من عظـــات وعبر تتقاذفها الانواء وتتنازعها الاهواء والفضل كل الفضل للسباقين الى الخير ولمن يكونون جيدين بانفسهم وقـدوة حسنة لسواهم ...

واخيرا ايها الاستاذ الجليل : تقول :

كيف أعلو وقد حنى الدهر ظهري

وبارزائـــه الجـــام رماني

ونحن نقول :

يا ايها الشيخ ان تهرم فما هرمت

لك القرائـح والاقـلام والهمـم

ونقول ايضا :

لانه فضلك ان يذيع فانمـــا

تنهـــى الازاهر ان تفوح عبيرا

ونقول ايضا وايضا :

فاليـك ابا طريف نرفـع شكرنا

وعليـك باسـم المكرمـات نسلم

ستين عاما قـد قضيت وانمـا

هي حجـرة العلم التـي تتضـرم

فتذوب كالشـمع المنير لغيـره

ان العظيـم بمـا اتاه يعظـــم

وختاما احييكم ايها السيدات والسادة معتـذرا واقول لاستاذي الجليل

تقبل بغض الطرف لهفـة شاكر

قصارى منـاه ان تعيش وتسلما

● هاشم صيادي

أنت قيثار أمة

سعيد قندقجي

لا تلم جرحه ومر عذابه ... فاخضرار الوجود من أهدابه

والنعيم الذي تراه بقايا ... من ينابيع روحه وشبابه

أثقلته الايام لكن فجرا ... أبديا يطل من أثوابه

تتوالى الاجيال خلف عطاياه ... وتصحو على ندى أكوابه

والسحاب الذي يمر خصيبا ... أترعته الآفاق من تسكابه

أين أفراحه وينتفض المجد ... الموشى بنزفه واغترابه

يتسامى وفي مراشفه السم ... ويسخو والشوك محض ثوابه

انه الشاعر النبي على الارض ... نشيد السماء عزف ربابه

يحمل العالم الكبير بجنبيه ... ويشدو بزهوه واكتئابه

يتفانى لتشرق الشمس في الكون ... ويكسو الربيع كل شعابه

ولكم عاش مهملا فاذا مات ... نثرنا الاجلال فوق ترابه

ورفعنا له الصروح كأنا ... ما عرفناه قبل مر غيابه

أيها الواهمون لا تلمسوا الجرح ... ولا تقربوا جحيم عبابه

أين عهد اذا بدا الشاعر الفذ ... سفحنا الجوزاء في محرابه
وعقدنا له اللواء وسرنا ... للعلا والفخار خلف ركابه
فغدونا كأننا نحن والموت ... شريكان في ابتداع مصابه
والحضارات وهجها عبق الفن ... واشراقها على أعتابه
ولقد يجدب الربيع ويبقى ... موسم الواهبين في اخصابه
وجميل الوفاء أن نكرم السيف ... وأن نلتقي على أنخابه
يا نديم الضياء شط بياني ... وتمادى ببعده ووثابه
فأغثني أبا طريف وحسبي ... منك ماض غرفت من أطيابه
أنت أجيالنا وكل فؤاد ... أنت شريان هديه وطلابه
نتلاقى على محيط عطاياك ... ونمتار من ضحى آدابه
والعيون الظماء تبحر نشوى ... بين شطي نميره وملابه
يتهادى بنا الحديث وينساب ... ونعمى الحديث عنه انسيابه
فاذا ثار بعد طول تأن ... فكأن البركان في أعصابه
يحرق الارض ، يقلب الكون ، يهمي ... بالشظايا على حمى طلابه
ثم يرتد قبلة طرفة عين ... لابتساماته وحلو دعابه
هو قلب أشف من رفة النور ... وحس أرق من جلبابه
وكذا الشاعر الاصيل تراه ... يحمل الطفل في ثنايا اهابه
خالص النفس من رياء وحقد ... طاهر في ثوابه وعقابه
عربي الفؤاد مالاً للبغي ... ولو كان حتفه في انتسابه
لا يبالي كرمى لامته الكبرى ... بقيد العدو أو ارهابه

فاسـأل النعميات لـو شـاء كانت عنـد أقـدام سؤلـه ورغابـه
غـير أن الابي مـن يظمـأ الدهـر اذا كـان ذلـه في شـرابـه
يشـرق الكبر من جوانحـه الشـم ويحـدو الشموخ وثب عرابـه
يتعـالى وكـم جبـان تهـاوى حـين لاح الفتـات مـن أربابـه
هـو مـن عالـم الـذرا فاستريحي يانسـور الـذرا على أعقابـه
آثـر النفي والتشـرد والجـوع حفاظـا على ابـاء رحابـه
وكنـوز البحرين لـم تغـر عينيـه ولـم تثـن قلبـه عـن صوابـه
ساوموه فكـان كالصخر جبـارا وكالصـرح في اعتـداد جوابـه
والمضحـى بروحـه لا يبـالي أن تكون النجـوم مـن أسلابـه

★ ★

يا نديـم الضيـاء أنـى تـوجهت فـروض بنفحـه ورضابـه
قـد صحونـا على يديـك ونعمـى أن يـرى الكـرم مجتلى أعنابـه
لـك منـا سبـع وخمسون عامـا هي مجد الزمـان عنـد حسابـه
كنت فيهـا مربيـا والمـروءات تبـارى علـى نـدي لبابـه
كنت فيهـا معلمـا أي جيـل لـم تكن أنت خصبه في سحابـه
كنت فيهـا العطاء لو ينصف الدهر لكنت العنـوان فـوق كتابـه
مجدك المجـد ثـم لا شيء منـه غـير قفـر ملفـع بسرابـه
رب أعمـى يجنى النضـار المصفى وبصـير يقتـات شـوك يبابـه
ويقولـونَ أشـرف النـاس لكـن يتناسـونَ سلـه مـنَ مصابـه

وهـو ماض كالسيف يهزأ بالفقـر ... ويغنـى بجـده لا قرابـه
ولكـم يرتشي الانـام ورشـواه ... ارتسـام الضحى علـى أحبابـه
حسبه أن يـدق بـاب الامـاني ... كي يرى النـور مطرقا عند بابـه
هو كالنبع لن تعيق صخور الارض ... نبعـا عـن دفقـه وانسكابـه
هـو اقـوى مـن الاعاصير مهمـا ... حاولت رومـه وهـدم قبابـه
وهبتـه الحيـاة قلبـا سخيـا ... يسكب الحب مـن دنان عذابـه
انـه وارث النبـوات صفحـا ... عن أذى دهـره وطعـن حرابـه
وعشيق الضيـاء ليس يبـالي ... ان تبـدى لـه الظـلام بنابـه
ولـو أن السخاء شـاد مثـالا ... لاصطفـاه معلمـا في انكبابـه

★ ★

أيهـا الشاعـر المحلق وحيـدا ... في سمـاوات وجـده وعتابـه
فـارس أنت فامتط الريـح للافـق ... ومـد الجناح فـوق شهابـه
واقطف الشمس للقلوب الحيـارى ... وانثر النـور بعـد طول احتجابـه
أنت عـين الوجـود تبصـر مـا لـم ... يبصـر الواهمون مـن أنصابـه
أودع الله في ضلوعـك قلبـا ... يتشهى الربيـع بعض مذابـه
تتحرى الجمـال حتى مـن القبـح ... وتهـدي اليقين بعـد ارتيابـه
واذا مـا غضبت كنـت جحيمـا ... يتهاوى الطغـاة عنـد انصبابـه
ثـائر أنت قائـد دون تـاج ... خسيء التـاج ان يفيـك بمابـه
كـم أمـير ثـوى وشعرك بـاق ... يتسامى والـدهر مـن حجابـه

واذا خـانـك الزمـان فجهـل ... مـن زمـانٍ يجـد في تلعابـه

أيهـا الشاعـر الاصيـل عطـاء ... أنت مأوى القريض مـن أغرابـه

كـم دعـي يمـزق الشعـر حتـى ... يحسب الشعر نفسه من سبابـه

هو أدهى عليه مـن غصـة المـوت ... وأقسى مـرارة مـن غرابـه

يتمطى فيضحك القـدر المفجـوع ... مـن هـذره ومـن اجدابـه

أمـة تقبـل الفجيعـة شعـرا ... هي روض يحنـو على حطابـه

★ ★

يابن يحيى خـذ الكتـاب وغـرد ... لك صـرح الخلود عنـد انتخابـه

كنت فينـا براعمـا ثـم فتحت ... ففقت الربيع في أطيا .... بـه

أنت قيثـار أمـة مجدها الشعـر ... وآلاؤهـا صـدى اطرابـه

تتـوالى الزحـوف حـين يغني ... وتمـوج الدمـاء مـن قرضابـه

ولكـم أيقـظ القـريض غفـاة ... فأعادوا الضيـاء مـن سلابـه

شرف الحرف أن يكـونَ نـذورا ... كدم الشعب في جـلال احتسابـه

★ ★

يـا أبـا المكرمـات حسبـك مني ... موقف الغصنَ مَن مفاخر غابـه

فـأعرني مـنْ جانحيـك بقايـا ... أخجلَ النسـر في مـدى تجوابـه

لـك مني على الزمـان وفـاء ... يتشهى العاصي نـدي حبابـه

سعيد قندقجي

عمر يحيى

المعلّم العالِم

د. عمر الدقاق

ليس اشهى الى النفس واحلى على القلب من نجوى الايام الخوالي ، ومن حيث الذكريات السالفة وكما قال شاعرنا العربي :

نشوة الذكريات افعل في الانفـــس من نشوة ابنة العنقود

ما احيلى ان يجود الدهر علينا بين الحين والحـــين بجلسات عذبة تضم اصدقاء الصبا وخلان الوفا حيث يطيب لرفاق الدراسة ان يتجاذبوا اطراف الاحاديث بعيدا عن عالم السياسة المتفجر الذي يكاد يقصم الظهر ويمـزق القلب .

ما أحيلى ان يلتئم الشمل ويجتمع الصحب، بعيدا عن وطأة الواقع المرير ، وأن يختلس أولئك الاحبة من غمار العيش الطاحن ومن لحظات الزمن الهارب سويعات من اوقات الهناء وعهود الصفاء .

ما أجمل أن تسترخي النفوس المتعبة على وسادة مخملية من الذكريات الحلوة في مواجهة صورة حياتنا الماضية ... هكذا كان يلذ لنا في وقت من الاوقات ان نتعطـــف بنا الاحاديث العارضة الى سالف ايامنا في بهجة غامرة . وسرعان ما كانت تتجلى أمامنا صفحات من الماضـــي البهيج تستوقفنا دون سواها من سجل حياتنا الوضيء وقد رسم البعد حولها هالة زاهية محببة .

وكم يطيب لنا الى الان في هذه الجلسات الاخوانية ان نتدفق في رسم ملامح تلك الصورة المتألقة صورة ايـــام الدراسة والشقاوة ، حين ينسرد امامنا شريط براق متوهج

من تلك العهود الطيبة ، أيام كانت مقاعدنا من جنـــاح الزمان وقبل ان ندرك بعدها خطر المركب من قابـــل السنين ·

الحديث الاثير الذي يستهوينا أبدا ونستميده دون ان تبلى جدته هو ان نسترجع بنشوة بالغة حكاياتنا مـــع رفاقنا ومع اساتذتنا · واستاذنا عمر يحيى في غالب الاحيان هو الشخص الغائب الحاضر بيننا · وعندما نطـــوف بالاحاديث ما يشاء لنا التطواف ويعرض ذكر عمر يحيى نحط الرحال عنده وينعطف الكلام نحوه ، وحينئذ يدب في المجلس نشاط جم فتعلو نبرات الاصوات ، ويتقاطـــر شريط الذكريات ·

ما أبهاها من صورة ، صورة راسخة ابدا في قلوبنا منقوشة ابدا في نفوسنا · رجل كالرمح العربي طويـــل القامة نحيلها ، جميل القسمات دقيقها ··· عينان غـير كبيرتين هما اشبه بعيني نسر قوي يشع منهما بريق الفطنة والنباهة ، وفم دقيق ترتسم حوله ابتسامة عذبة · مهيب في هيئته ، وئيد في مشيته ، عليه سمة الاستاذ الجليل ، وكان الوقار قد جلله قبل الاوان · كان يشار اليه بالبنان اينما حل وينتزع الاعجاب حيثما كان ، ويحظى بالاحترام كلما عرض له في المحافل والمجالس ذكر ·

كثيرا ما كنا نرى اليه وهو يعبر بوابة التجهيز العريقة في حلب ، متابطا محفظة من الجلد ، ملساء شقراء · انه يمشي بخطا ثابتة ، ويجتاز الممر الحجري الطويل فاذا نحن نزيح أنفسنا عن الطريق اجلالا له وتأدبا ، وقد نكف عن الحركة وكاننا جذوع أشجار أخرى التصقت بأشجار السرو التي كانت تكتنف ذلك الممر الجميل المبلط ، وكلنا يمني النفس بأن يحظى من استاذه عمر بلفتة عابرة عسى ان نبادره اثرها بالتحية ويكون لنا عندئذ سعادة غامرة ·

الحاج محمد (الآذن) يقرع الطبل صباحا ، ولضرباته جلجلة خاصة الفناها عند الدخول وعند الخروج ، حتى اننا نحس بتغيرها من اول ضربة حين يعرض لحاج محمد عارض يحول بينه وبين اداء مهمته التي دأب عليها عمرا مديدا ·

ويستقر كل منا في مقعده ، واذ نتوقع دخول عمـــر يحيى علينا بين لحظة واخرى تغدو عيوننا معلقة بباب الصف · وكثيرا ما يسبقه الينا واحد منا نندبه من بيننا كشافا مستطلعا كي يندرنا حتى لا نؤخذ على حين غرة فننال من الزجر ما لا يعرف أحد مداه ، فالحال في درس عمر يحيى مختلف عن سائر الدروس · لفافة التبغ التي قلما كانت تفارق استاذنا هي اول ما يطالعنا حتى يقبل على الصف ، ثم وقفة قصيرة بالباب يعب خلالها الدخان ما يكفي لفراق ساعة ، ثم لا يلبث أن يقذف بها وينفث دخانها في شكل غمامة كثيفة سرعان ما يندفع الى الصف من خلالها ، وما اسرع ايضا ما يغير الله بنا من حال الى حال ، فينقلب هزلنا جدا ، وخفتنا وقارا ، كما يغدو ضجيجنا همسا ، ولغونا همسا وحركتنا سكونا · وننتفض واقفين ثم نقعد وكأن على رؤوسنا الطير تكون نفوسنا ظامئة الى ما يلقيه عمر يحيى بصوت جهوري رخين ينطوي على رنـــين محبب ، واسماعنا متعطشة الى ذلك الاداء العذب والالقاء الجميل ·

كانت كلماته تخرج من فمه وئيدة لا نلبث ان نعيها بيسر ، حتى لكأنها نقشت في أذهاننا ورسخت في نفوسنا ·

أشهد على سبيل المثال انني درست على يديه علـم العروض في الصف الثامن واستوعبت طريقة التقطيـــع وأحوال التفعيلات والقافية خلال بضعة دروس فحسب ، مما أغناني في هذا المجال عن المزيد في غمار دراستي الجامعية وما هي الوظيفة المعتادة تطبيقا للدرس المعطى ؟ علـى الطالب أن ينظم في داره بضعة ابيات على البحر المطلوب واذكر ان الامر عسر علي تلك الليلة فلم أفلح في جمـل جميع التفعيلات (مفاعيلن) ليبقى البحر هزجا ، اذ حرنت في احداها في بيت القصيد وشذت عن السرب · وهي تأبى الا ان تكون (مفاعلتن) · وقد همني ذلك وكان علي أن احسب له حسابا كبيرا في قاعة الصف ·

وعندما جاء دوري وعرضت الدفتر على استاذي وأنا واجف وراح يقرأ فيه ذلك الكلام المنظوم ، كنت في الوقت نفسه أحاول ان أقرأ بدوري ما ينطبع خلال اساريره من

معان ، وكانت بسمة منه كافية لان تسري عني همـــي وتزيح عبئا عن كاهلي ·

أية طاقة عجيبة كان يبعثها فينا هذا الاستاذ الكبير ، فاذا نحن جذوة متقدة من الحماسة والاندفاع ، الوظيفة الشهرية فرض نؤديه بسعادة بالغة · وكان علينا ان نعود بارشاد من استاذنا الى مراجع عديدة من مثل ضحى الاسلام وامراء البيان ·· بضع صفحات كانت تكفي ولكن هيهات فهذا لا يرضينا ، كنا نطيل تلك الوظيفة حتى تبلـــغ صفحاتها العشرين او تزيد · ولم نكن نرتجي من ذلك كله سوى ان نحظى بتعليق على بعض الارشاد والتوجيه وعلى بعض الثناء والتشجيع ·

عجيب امر هذا الجيل من الرجال ، يعطي طوال يومه ما شاء له العطاء ، حتى اذا أمسى المساء كان على احدنا أن يبادر الى استاذنا ليساعده على حمل دفاتر الطلاب واوراقهم ، حينا الى مكتبه واحيانا الى داره لتصحح في هدأة الليل ··· وهكذا كان عمر يصل سهر ليله بعرق نهاره · انه الوجدان المسلكي او هو الضمير الحي الذي مضى الى غير رجعة ، فما أبعد الفارق بين معلم الامس ومعلم اليوم ، وبالتالي بين تلاميذ الامس وتلاميذ اليوم ·

كان تجاوبنا مع أستاذنا حارا فما ان يوصي بقراءة كتاب حتى نبادر الى دار الكتب الوطنية نطلبه بلهفة ، اذ من النادر أن يكون في بيت احدنا بل لدى اخد في حينا مكتبة بل كتاب · واذكر مرة ان الاستاذ عمر وبخنا بشدة لانه لم يجد بيننا من يعرف شيئا عن كتاب العمدة لابن رشيق ، فشعرنا بالخجل لتقصيرنا · وفي مساء اليوم نفسه وقبل ان اصل الى بيتي هبطت شارع الكتاب قاصدا دار الكتب بباب الفرج · وعندما ملأت الاستمارة وناولتها لقيم المكتبة شعرت بالارتياح لانني سوف أحظى بالكتاب الذي شوقنا اليه أستاذنا ، ولا تسألوا عن الذعر الذي اصابني يومئذ اذ لم يعد الشيخ يونس بالكتاب بل أمسك بتلابيبي وهو يصيح بغضب : « هلكتوني يا قرود ، انتم تسخرون مني ، أنتم متواطئون ضدي اذ تبعثون بي مرارا الى اعماق مستودع الكتب لجلب الكتاب بعينه ، ثم قال لابد لي من تسليمك الى المخفر ، بل سأشكو أمركم جميعا الى المحافظ » في تلك اللحظات الحرجة كنت اقول له بصوت خافت : «كان الاجدر بك ان تمسك بتلابيب عمر يحيى لانه اصل البلاء » وقد تطلب الامر جهدا كبيرا ليدرك الشيخ يونس ان كل طالب انما كان يهرول من التجهيز الى المكتبة قبل سائر رفاقه ليحظى بالكتاب المنشود وهو يظن انه السابق دون ان يفطن الى ان هناك من وصل قبله واستأثر بالكتاب ·

على ان امتع الدروس ما كان ينتهي في دقائقه الاخيرة باستجابة استاذنا لرغبتنا الملحة في أن يلقي على مسامعنا شيئا من شعر الغزل ، وحين كان يفعل كان ينتابنا ونحن في سن المراهقة فرح غامر ، ولا سيما حين يكون الغزل منطويا على بعض الجرأة · غير انه لم يكن ينغص علينا تلك المتعة سوى قول عمر يحيى بابتسامته المعهودة : « دعوا الاقلام كلها من ايديكم » فنتركها على مضض ونحن قانعون بنشوة السماع اذا فاتتنا فرصة التدوين · على ان بعض الخبثاء كانوا يبسطون الدفتر او الورق على ركبهم وأفخاذهم ويسجلون ما استطاعوا تسجيله خلسة من اشعار الغزل فيحظون بتلك الغنيمة محسودين من سائر رفاق الصف · لله ما كان اجمل ذلك الشعر ، بل ما كان احلى ذلك الاداء ·· ومع ان قرع الطبل مؤذنا بانتهاء الدرس كان في العادة يفعم نفوسنا بهجة الا انه في هذه اللحظات الجميلة كان يثير فينا السخط ويبعث الامتعاض بسبـــب صوته المجلجل الاجش ، حين يطغى على نبرات صوت الاستاذ الشاعر وهو يتدفق في اشعاره بعذوبة بالغة ، والان فقط نصحو الى امرنا ونهبط بغتة من عليائنا ·

ثم تمر ايام وتنقضي اعوام ، فتقوم كلية للآداب بجامعة حلب ، ويكون الاستاذ عمر يحيى في طليعة اعمدتها ومن ندبوا للتدريس فيها ، وكان جليا انه لم يكن يوسع احد في مدينة حلب ان ينهض بتدريس مادة النحـــو سواه ·

والحق ان اكثرنا لم يكن يدري شيئا ذا بال عن هذا الجانب عند عمر يحيى ، فقد عرفناه شاعرا جزل العبارة وعرفناه استاذا ليس له في حقل التدريس نظير ،

وذواقة للادب لا يجارى ، وراوية للشعر لا يبارى ، فاذا هو عالم متبحر في علوم العربية ، نحوها وصرفها ، متمكن من مذاهب النحاة واللغويين ·

لقد اعتدنا من حين الى حين والى هذا اليوم ان نرجع الى ابي طريف كلما عرضت لنا مسألة شائكة خلال امالي القالي او كامل المبرد او ما شاكل ذلك وكان الجواب ـ كما نعهده ـ يأتينا سديدا محكما ، مدعما بالنصوص مؤيدا بالشواهد · حتى ان داره كانت وما تزال ـ سواء في باب النصر او الجميلية ـ كعبة العلم والادب ومنتدى الادباء والشعراء · وكم قرع بابه في اوقات عارضة ليحكم في قضية نحوية او لغوية ليزيل التباسا في نص ادبي ، او معنى مستغلقا في قصيدة من الشعر · وكم كان النقاش يحتدم بين بعض الاساتذة المتتبعين ، فيصل الى حد الرهان ثم تكون نهاية المطاف عند ابي طريف حيث تكون له كلمة الفصل ·

وفي هذا الطور من حياة عمر في التدريس الجامعي قيض لي ان اصحبه زميلا وصديقا ، ولكنني اعترف بانني لم استطع قط ان اتخلص من سمة التلميذ تجاه استاذه · وكلما بدا لي انني شببت عن الطوق عاودني وانا قريب من عمر يحيى شعور بالضآلة وأصبت بازدواج الشخصية فاحس بأنني استاذ وتلميذ معا ·

والحق انه لا عيب في عمر يحيى سوى ان شخصيته قوية طاغية الى اقصى مدى ،حتى انه قد يكون من العسير احيانا على تلاميذه ان ينفكوا من اساره ويتحرروا من سلطانه · كان مثلا دائم الاعجاب بالشاعر حافظ ابراهيم خلال تدريسه لمادة الادب ، ولعل في عصامية عمر يحيى وايثاره للبساطة وشعبيته الواسعة ما يحبب اليه شاعر النيل ويجعله اثيرا لديه · اما انا فقد سرى الى نفسي هذا الاعجاب بحافظ وتملكني امدا طويلا قبل ان أتمكن بعد لاي جهيد ودراسة مستفيضة من اعتقاد العكس اي أن احمد شوقي يفوق حافظا في الشعر · بل انني اذهب الى مدى ابعد حين أعزو الى استاذي تبعة انعطافي الى دراسة الادب وانصرافي عن التخصص في حقل العلوم ذات المردود المادي ·

وقد بلغ من قوة شخصية عمر ان طلابه في ثانوية المأمون وفي كلية الاداب على حد سواء كانوا يغرجون من صفوفهم احيانا معلنين الاضراب لسبب غالبا ما يكون سياسيا · وكان الامر عليهم يسيرا اذ يكفي ان تتردد في جنبات الرواق كلمات من نشيد حماسي معروف وهمة الشباب تذلل الصعاب حتى يندفع الطلاب من داخل صفوفهم كما تندفع اسراب النحل من خلاياها ·

على انهم بالنسبة الى صف عمر يحيى كانوا يتهيبون اقتحامه فيكتفون بالهتاف امام الباب او تحت النافذة ، كما كنا داخل الصف نتململ ونتحرق شوقا لنداءات الاضراب السحرية دون ان نجرؤ بدورنا ايضا على الاتيان بأية بادرة وكثيرا ما يتوقف بعد حين عن القاء درسه ويشير علينا بالخروج · اما اذا اعتقد بأن سلاح الاضراب قد استعمل دونما مبرر فقد يفتح الباب معتدا ويطلق صيحة غاضبة في وجه المتجمهرين تذكرنا بسيرة عنترة حين يصيح في الجموع ، فيرتد القوم ويتشتت الشمل ·

كان عمر يحيى في التعليم الثانوي والتعليم الجامعي وفي اوساط الادب والثقافة بمثابة المعلم الكبير والمرجع الموثوق والعالم الموسوعي ، حتى انه وحده بمثابة مكتبة حية تسعى على الارض ·

ومن عجب أن يتسم من كان هذا شأنه بتواضع جم كالسنبلة المكتنزة تحني رأسها · بل انه على غزارة علمه متعطش ابدا للمعرفة ، يحرص حتى اليوم على الاطلاع ويداب في ترقب كل جديد مما تصدره المطابع ودور النشر ·

لقد استظهر عمر يحيى فضلا عن معظم آيات القرآن الكريم الاف الصفحات من اشعار العرب وخطبهم ومن امثالهم وأخبارهم ، من مثل نهج البلاغة والاغاني والقسم الاكبر من ديوان المتنبي وجوانب وفيرة من اشعار الجاهليين والامويين والعباسيين ···

والذي يبهرنا وينتزع اعجابنا هو غزارة محفوظه واقتداره على رواية الشعر الى حد يثير الدهشة · وفي

يقيني أن كلمة راوية لا تكاد تنطبق على أحد في هذه الايام كما تنطبق على عمر يحيى ، فهذا طراز نادر من العلماء الرواة لا نجد له نظيرا الا عند السالفين من افذاذ العرب كالمفضل والاصمعي ·· ولعل عمر اشبه ما يكون بأبي تمام باعتباره شاعرا جزل الالفاظ وباعتباره ايضا عالما بالشعر وكثير المحفوظ من اشعار العرب · وأشهد انني طوفت طالبا واستاذا في كثير من بلدان العـــرب ومعاهدها وجامعاتها فلم اجد قط أروى للشعر ولا سيما الشعر القديم من عمر يحيى ، فهو في هذا المجال نسيج وحده وليس له نظير في هذا العصر ·

فما اروع ان يختزن الينبوع الثر كل هذه الروائع ثم يفيض بعد ذلك بالعطاء والخير العميم ·

لقد احببنا في عمر ايضا ـ في جملة ما احببناه ـ رجولته البارزة ، فيه يتجلى العنفوان الحموي ويمتزج امتزاج الماء والراح بالاباء العربي وشمم البداة واصالة الاجداد ·

لقد احببناه في كل حين وفي كل حال ، أحببناه في سخطه ورضاه ، أحببنا فيه ذلك المزاج الشاعري ، غضب الى حد التحطيم والانفجار وهدوء الى حد الاسترضاء والاعتذار · يثور كالضرغام ويهب كالاعصار ، ولكنه لا يلبث ان يتطامن كالحمل ويرق كالنسيم ·

ايها السادة : سئل مرة الشيخ محمد عبده : « لم لم تؤلف ؟ » فأجاب : « كل تلميذ من تلاميذي مؤلف » · اجل ان طلاب عمر يحيى هم من هذا القبيل ، انهم ناجحون في حقل التدريس وفي الطب والهندسة والقانون والادارة ، وفي أكثر قطاعات الحياة · انهم مدينون بجزء كبير من هذا النجاح الى هذا المربي ، وهم يعلنون في كل محفل بزهو واعتداد : « نحن تلاميذ عمر يحيى » · اجل ، لانهم تلاميذ عمر يحيى فان عمر يحيى استاذ جيل · وما علمنا اوفى او اجل من الذي يبني وينشيء انفسا وعقولا ·

حماه ـ ٨ كانون الاول ١٩٧٧

الثقافة الأسبوعية

دمشق ـ ص.ب ٢٥٧٠ هاتف ٢٢٩٩٨٤

مجلة اسبوعية ادبية فكرية جامعة

تصدر صباح كل سبت

عمر بحيي

عدنان مردم بك

عبء السنين يفل كل مهند ... ويعيث غاربها بكل ممرد
يبلى الشباب وتنطوي أعلامه ... في غيهب للحادثات ملبد
وشباب روض الشعر يأرج نفحه ... أبدا على كر الزمان السرمدي
غرر القريض تضيء ثم مساربا ... للخابطين على الدجى كالفرقد
وتضيء بالنعمى ، ويهمر طيبها ... غمرا يموج بسبسب وبفدفد
عمر البيان الدهر وهو ممرد ... في غابر أو حاضر أو في غد
هو والزمان الخالدان على المدى ... والزيف كان الاثم : غير مخلد

★ ★

أمعلم الفصحى جريت الى مدى ... في كل ميدان يقام لسؤدد
أعطيت ما تقضي المروءة راضيا ... من شرخ فينان الصبا المتأود
ووقفت عمرك في سبيل قضية ... مثلى ولم تحجم ولم تتبلد
ثقفت أجيالا وكنت منارة ... للخابطين من الحيارى الشرد
قومت معوج اللسان وطالما ... قومت معوج الضمير الاسود
لله أنت معلما ومهذبا ... للنفس عن درن يحز كمبرد
ومهذب النفس السقيمة من أذى ... ضمن الحياة لشعبه دون الغد

★ ★

أأدرت من سحر القريض سلافة ... لما شدوت بمحفل كمغرد
وفتقت أكمام الكلام ولم تدع ... من مغلق للقول أو من موصد
ومقطعات كالرياض تألقت ... الفاظها كالكوكب المتوقد
برئت عن الاوشاب فهي نقية ... كالطهر يسطع من حنايا معبد

صنت القريض عن ابتذال رافعا ... من قدره عن لوثة أو عن دد
ووقفته حرا لنصر قضية ... فيما مضى في موقف أو مشهد
ما كنت مداحا ولا متملقا ... شأن الكثير ولم تكن بالمجتدي
أنصفت أحرار الرجال وفتية ... مهروا الحمى بالروح دون تردد
شادوا على أشلائهم ما حققوا ... من شاهق عجب هناك مشيد
وتلمسوا سبل الخلود فلم يروا ... غير الشهادة دونهم من مورد
ماذا عليك وقد مدحت بطولة ... في مثلها يحلو نشيد المنشد

★ ★

أحماة يا أم الشبول تحية ... مني اليك كنفحك المتجدد
أطلعت في الماضي الجبابرة الاولى ... من كل أروع بالحديد مقلد
كشباب (بدر) نجدة وحمية ... للذود عن شرف هناك موطد
قلوا وطابوا معدنا ونحيزة ... كالدر في شرف النجار وسؤدد
أنفوا الدنايا شامخين الى السهى ... برؤوسهم في لوثة المتمرد
وبكل شبر من أديمك يجتلى ... ما شف من ماض يروح ويغتدى
أترى هناك (أبا الفداء) ورهطه ... من منهم دون العلى أو منجد
فتيان صدق لا تلين قناتهم ... في حادث جهم العجاجة مزبد
في مثلهم صين الحمى وتأشبت ... حلقاته عن غاصب مستأسد
وأكاد ألمح خلف كل ثنية ... طيف الجدود على الرسوم الهمد
وأرى (بعاصيك) ائتلاق حضارة ... من غابر عجب ولما يخمد
مزماره رجع العصور مجلجلا ... ما انفك في خلجانه كمزغرد
فلعل من أذن هناك مصيخة ... لاشاوس لا تستكين كجلمد
تأبى الشكيم نفوسها لحمية ... وتعافه شمما بعزة سيد
حسب الرجولة في الحياة مهانة ... ان لا تثور على الاذى في مشهد

★ ★

ان السنين وان شجت أحداثها ... ورمت بسهم في الفؤاد مسدد
ما ثم سهم منقص لمروءة ... ولو أنه سهم الزمان المعتدي
ولطالما هرم الشباب وصوحت ... أزهاره والشعر فينان ندي
أوليس في سمة الكهولة والنهى ... عن زيف أحلام الصبا من مسعد

عدنان مردم بك

محمود فاخوري

عمر يحيى الشاعر

الشعراء ـ فيما قيل ـ ثلاثة : شاعر متخلف عن عصره ، وشاعر يعيش عصره ، وشاعر سابق لعصره . الاول مقلد خامل ، والثالث متفلسف في الغالب، والشاعر الشاعر : من عاش في عصره، وعاش عصره فيه والاستاذ عمر يحيى ـ الذي نحتفل بتكريمه اليوم ـ هو الشاعر الشاعر ، اذ تنعكس في شعره صورة العصر الذي عاشه كاكمل ما تكون الصور ، لانه عاش هذا العصر، وامتزجت احداثه السياسية والوطنية والقومية بروحه وعقله، فكان ان نظم « بحواسه ، وبقلبه ، وبعلمه وتجاوب شعره مع اجوائه واجواء اهله وعشيرته ووطنه فكان ثبتا لخواطر وعواطف هذا الجيل ، وكأن همسات ونجوى صادقة ترددت في حنايا ضلوعه موصولة بنجوى وهمسات اهل هذا الجيل » (١) .

ولا غرو ، فقد آتاه الله موهبة مبدعة ، وقريحة صافية ، وشاعرية فياضة استمدت نفسها من ينابيع ثرة ، في مقدمتها بيئة حماه التي وصفها مارون عبود بقوله عنها انها « مدينة العلماء والائمة »(٢) وازيد على ذلك فاقول : انها مدينة الادباء والشعراء .

اكتنفت تلك البيئة شاعرنا الذي « نشأ كبشار ، بين شيوخ وائمة تتذكر ـ متى حدثتهم ـ العرب الخلص فهم جميعا يتكلمون الفصحى ولا يلوكون السنتهم . وهذا قلما تجده في غير حماه ، العربية اللسان واليد والبيوت »(٣) .

هذه البيئة لم تكن علمية فحسب ، وانما هي بيئة طبيعية ساحرة . فقد حبا الله حماه مسحة اندلسية خلابة ، تثير القريحة وتوقد الموهبة . وانين النواعير فيها يبعث الشجا ، ويطرب النفس ، وصباح العاصي ومساؤه يوحيان الشعر .

وثاني تلك الينابيع : مطالعات عمر يحيى وقراءاته فقد اتخذ الكتاب خدنا وصفيا ، يأنس اليه في عزلته ، ويجعل منه سميرا ونديما « حتى يكاد لا يفرغ من المطالعة اكثر ايامه ، وحتى تكاد تحسب ان الكتاب رفيقه صباح

(١) من تقديم قدري العمر لديوان عمر يحيى
(٢) على المحك ١٢٨
(٣) على المحك ١٣٦

مساء .. واذا ذهب من مكان الى مكان ، تأبط كتابا او اكثر ، يحتاط للفراغ بمطالعة الكتب »(١) ، حتى ضاقت زوجه بذلك ذرعا ، وتوقدت من غيظها ، وراح يقول على لسانها :

فعند الصباح ولوع به
وعند المساء اليه المثاب
اذا ما تغنى بليلاه قيس
فزوجي بحب الكتاب اهاب
انادية حينا فلا ينثني
كأني انادي الصخور الصلاب
فلولا حفاري على عقله
اتيت عليها بنار الثقاب

ولم يكن الاستاذ عمر يكتفي بذلك ، بل كان يمعن في حفظ الاشعار القديمة والحديثة منذ حداثته ، فقد حفظ حماسة ابي تمام وهو في الثانية عشرة من عمره، كما حفظ معظم قصائد الامالي وديوان المتنبي وماحواه العقد الفريد والشوقيات ، وغيرها .. فجدد لنا عهد المفضل الضبي والاصمعي وخلف وحماد .. « حتى صار مرجعا يرجع اليه كثير من عارفيه اذا اشكل عليهم بيت من ابيات الشعر ، او كلمة ، او قاعدة » ، وعندئذ يتدفق البحر ، ويوافيك بالقصيدة، وقائلها ، ومناسبتها ويدلك على مصدرها ، كل ذلك في تواضع العالم ، الذي يشعرك بانه يتعلم منك او يستأنس برايك ، لا انه يعلمك ويفيدك .

وكان له من اساتذته في الكلية الصلاحية بالقدس ، خير رافد يزوده بفنون العلم ، وألوان الادب والثقافة ، وحبك فهم بالنشاشيبي اللغوي الاديب ، وعبد القادر المغربي العالم النير الفكر ، وجودة الهاشمي المربي القدوة وعبد الرحمن سلام الاديب الناقد .

ولا ننسى ما لرحلاته العديدة بين اقطار شتى من اثر في تنمية مواهبه وتفتح قريحته . هذا الى اتقانه عدة لغات غير العربية امدت خياله بآفاق غير محدودة : فقد عرف الفارسية والتركية والفرنسية ، وقرأ آداب هذه اللغات والم بها الماما جعله يفهم الكثير من روائع بيانها .

وهناك اخيرا : تدريسه العربية سنوات طوالا ، وهذا ما صقل موهبته اللغوية ، وكشف له كنوز أم اللغات ، فأفاد منه طلابه كل الفائدة ، بعد ان اصبح « واحدا من جهابذة اللغة ، الذين لقنوا النشء اصول العربية من مناهجها ، فتخرج على ايديهم جيل من الشباب ، ملك قيادة اللغة ، واحب الادب . والى جانبه اساتذة اجلاء ، في طليعتهم : عبد القادر المبارك ، وسليم الجندي ، وبدر الدين النعساني ، ومحمد البزم ، وامين الكيلاني ، وغيرهم من اساتذة اللغة والادب »(١)

تلك هي الينابيع الصافية التي رفدت فكر شاعرنا وكونت ثقافته ، واغنت مواهبه المتوقدة ، فراح يجلي في مبادىء الشعر والادب ، وتسعى اليه الصحف والمجلات مخلية له اعمدتها ، وفاتحة له صدورها ، فقلما كنت تسمع او ترى مجلة لا تضم في احد اعدادها قصيدة له ، في حماه ودمشق ، وحلب ، وانطاكية ، وبيروت ، والقاهرة .

واخصب الفترات التي كانت قصائده فيها تملأ دنيا الوطن والعروبة : تلك التي رزحت فيها بلادنا تحت نير الانتداب او الاستعمار ، اذ غلب الشعر الوطني والقومي على ما نظم ، فكان من رواد الادب الملتزم ، عاش في عصره ، وعاش عصره فيه ، فكان الشاعر الشاعر . يقول سامي الكيالي :

« وفكرة الادب الهادف او الموجه او الملتزم ، التي يدعو اليها الشباب المتفعلون مع تيار القومية العربية في هذه المرحلة من حياتنا الادبية ، والذين يحبون انفسهم من دعاتها وبناتها .. ان هذه الفكرة قد عاشها ادباؤنا وشعراونا منذ اكثر من ربع قرن ، وبعضهم قبل نصف قرن . وقد ظهرت جلية في الصراع السياسي الذي وقفه الشرق العربي مع الاستعمار الغربي ، ووقفته سورية مع الافرنسيين . وعمر يحيى سار على نفس النهج الذي سار عليه البزم والزركلي ، وجبري، وخليل مردم بك »(١)

« وبالرغم من بعده عن التيارات السياسية ، فقد عاش مع الاحداث التي عاشتها سورية في نضالها مع الافرنسيين ، فما من حادث مس شعور العرب الا سجل ملابساته بشعر يجمع بين القوة والجزالة ، فاحزانه صورة من احزان قومه »(٢) .

(١) قدري العمر في مقدمة الديوان .
(١) الادب والقومية ، لسامي الكيالي ٢٣٨

(١) الادب العربي المعاصر في سورية ٣٤٠
(٢) المصدر نفسه ٣٣٩

كان الصراع شديدا أيام الانتداب بين الشعب والمستعمر ، وهو صراع امتد ربع قرن ، فلم يقف عمر يحيى وقفة الرعاديد ، بل كان صوته مدويا مجلجلا . ومع انه كان مقيدا بأسر الوظيفة التي كانت تحول بين الكثيرين وبين التعبير عن شعورهم تعبيرا حرا منطلقا ، فانه لم يحسب لتلك القيود الصارمة اي حساب .

« لقد دخل الفرنسيون بلاد الشام سنة ١٩٢٠ في شهر تموز ، فكانت الضربة قاسية ، وكيف لاتكون قاسية وقد نعمت البلاد باستقلالها ، فلم يكن هذا الاستقلال الا حلما في الكرى او خلسة المختلس » ، فكيف كان شعر الاستاذ عمر في تلك الايام العجاف التي « فيها عدو ، وفيها مراقبة ، وفيها حبس ونفي وما شابه ذلك ؟» (١)

لقد بقي شاعرنا صريحا جريئا ، لا يسكت في الحق، ولا يساوم في الحرية . ويكفي ان نعلم أن من بواكير شعره البرعمي قصيدة نظمها سنة ١٩٢٢ في (ذكرى استقلال سورية) الوئيد ، اثر الحكم الفيصلي ، وهو معلم في الحادية والعشرين من عمره ، وفي هذه القصيدة يقول :

وهب الدهر نفيا فاسترد
ربما جاد بخيل فحمد
وامان بعدما قلنا ربت
غالها من نائبات الدهر يد
اي عيد عاد فينا مأتما
وربيع حال بؤسى ونكد
اصبح الماضي كليما بعده
وغدا الوادي غريقا مضمحد

لقد حز في نفس الشاعر أن تغتال النائبات الاماني الغضة ، وينقلب عرس الحرية الى مأتم ، وانك لتشعر بالالم يمزق نفسه ويعصر كبده وهو يرى الاحلام الفتية تندثر وتتلاشى .

اما جرأته فانها تتجلى نادرة المثال ، بشكل يبعث على الاعجاب والاكبار لانها انموذج في الوطنية جدير بالاقتداء ، وذلك حين زار شيخ العروبة احمد ركي مدينة حماه عام الثورة السورية (١٩٢٥) والبلاد تغلي في اوج قوة الانتداب والسيطرة الاستعمارية ، فتقام للعلامة المذكور حفلة تكريم في دار العلم والتربية ـ متحف حماه اليوم ـ حضرها عدد من الشخصيات البارزة ، وفيهم المستشار الفرنسي نفسه ، وما ادراك ما المستشار ؟ في ذلك الوقت العصيب الذي انتصب فيه العدو شامخا مخيفا ، وبث عيونه وارصاده ، وهيئت السجون لاستقبال نزلائها والموفدين اليها، واعدت المنافي لايواء كل من ينبس ببنت شفة . . . في هذا الجو المحموم وفي تلك الحفلة نفسها القى عمر يحيى ـ وكان مدرسا في دار العلم والتربية ـ قصيدة مطلعها :

صدح الهزار على الغصون طروبا
وهفا الفؤاد من السرور مجيبا

وفيها يقول :

لمن المغاني اصبحت رهن البلى
ما ان تنال من الذياد نصيبا
دار السعادة غاب رب سعودها
فاستبدلت حزنا به وكروبا
والروض من بعد النضارة قد غدا
متسلبا يشكو الدبور قطوبا
لله نفس كلما كلفتها
نسيان ماضيها تؤجج لهيبا
واذا دواعي الحزن هاجت واجدا
لم يستطع ردا لها وركوبا

وبعد ان يتحدث عن ابي الفداء وقبره ، يقول :

وحماة غادته غدت مسلوبة
تمشي البراح، وعرضها موهوبا

هذا وذاك شعر يقوله صاحب عشرين ربيعا او تزيد قليلا ، وقد امتلأ اهابه وطنية وحماسة وثورة ، والكلمة تنفذ مالا تنفذ الابر ، وتتفجر مالا تتفجر القنابل ، فأنى للمستعمر ـ مهما كان شأنه ـ ان يرقد له جفن وفي الامة امثال عمر يحيى ؟

فلا تعجب اذا علمت ان الانكليز لم يستطيعوا السكوت اكثر من بضعة اشهر من عام ١٩٣٠ استكثروا على الشاعر ان يقيمها في البحرين ، حيث كان يعلم ويربي ويوجه ، فنفوه منها الى الهند خوفا من شعره الوطني اللاهب ، الذي كان في حقيقته تنبيها للغافلين وثورة على الغاصبين . وفي ذلك يقول من قصيدة عنوانها (من البحرين الى الهند) :

(١) انا والشعر ، لشفيق جبري ١٩

ودع (اوال) فقد قضى ظلامها
الا تقيم ، ولم تطل ايامها(١)
ارض تفيأها الوفاء فحببها
فخرا لو ان شيوخها حكامها
قالوا : نفيت، فقلت: ايسر نازل
ما هد من شمم النفوس حمامها
شرف المبادىء، او نموت، نحوطه
ان الحياة على الممات قوامها
قالوا : الى الهند المسير، فانتم
غرباء في البحرين، لا ارحامها(٢)
مرحى ، واما الانجليز فانهم
اهل البلاد ، واهلها ايتامها
ضاق المفر بان نهيب بشعبها
ويود ان لو لم يفق نوامها
هذه السفين معدة لرواحكم
في ليلة طخياء عم ظلامها
يوما بسقط تائهون ، وتارة
في الهند ، ارض الرافدين ختامها

وحين عاد من منفاه بعد سنة ، استانف التدريس في دار العلم والتربية ، ولكنه بقي على عهده ، لم يفتر ، ولم تهن عزيمته ، فكان الناس يسمعون صوته المدوي في كل مناسبة وطنية او قومية . فقد رزح وطننا ربع قرن تحت نير الاستعمار ، وعاصر شاعرنا هذه الفترة كلها ، ووعاها ايما وعي ، وحمل عباها على كاهليه ... شهدها فتى يافعا نضير العود ، وصاحبها بقلبه وروحه:

خمسا وعشرين شهدنا بها
صحائف الفتك ولم نخضع

ففي يوم ميسلون استشهد القائد يوسف العظمة الذي تجسدت فيه كل معاني البطولة والتضحية والفداء فنظم الشاعر في هذه الذكرى الموجعة قصيدة يمجد فيها تلك البطولة ، ويأسى على ما جنته الامة من اسى وكدر :

قضيت ولكن حميد البلاء
فابقيت فينا جليل الاثر
وجدت الحياة على طيبها
مع القد ليست حياة تسر
مضت سنوات ونحن نحن
الى صبح يوم به نفتخر
وبعنا النفوس لنيل المنى
فلم نجن الا الاسى والكدر
ومهما لقينا فان المنى
ستعطي مقادتها من صبر
احامي الذمار ، وكم من زعيم
اضاع الذمار غداة الخطر
اذا الربع باهى باشباله
حبتك وسام المعالي مضر

وبقي لميسلون في نفسه اثر ، يذكرها في كل مناسبة فعندما رثى صديقه الشاعر بدر الدين الحامد سنة ١٩٦١ كان مما قاله :

شجيت لميسلون ، وميسلون
لنا الجرح المطر والملاب
اذا تموز اقبل ساورتنا
به ذكر مواردهن صاب

واستمر عمر يحيى يرثي ابطال الثورات وشهداءها من قبل ومن بعد ، كالطبيب صالح قنباز ، وخالد الخطيب ، وسعيد العاص ، وبعض الطلاب الذين سقطوا صرعى برصاص الفرنسيين في حلب .

ولشد ما احزنه في هذه الفترة وضع اللواء السليب، وحز في نفسه ما رآه وسمع به من مؤامرات وغدر ، ومن ائتمار السلطة الفرنسية برجال الحكم وانسلاخ اللواء من البلاد ، وتحول الشعب عن الحكومة ، وقيام المعارضة ضدها ، وظهور بوادر الكفاح الطبقي ، فقال :

بكوا فقد اللواء لنا رياء
وهم طعنوا البلاد وضيعوه
ابعد الثورة الحمراء يرضى
بنونا ان يفارقهم بنوه ؟
افيقوا ان يضع فلسوف ياتي
زمان فيه يتلوه اخوه
اضاعوه لكي تبقى الكراسي
فيالدم يضيعه ذووه

★ ★

ومع جراة عمر يحيى في قول ما كان يقول ، فانه كان يلجأ احيانا الى اسلوب آخر يقوم على التعريض

(١) اوال : اسم للبحرين .
(٢) كان مع الشاعر صديقه المرحوم عثمان الحوراني .

والتلويح والرمز ، وفي ذلك بلاغة ما بعدها بلاغة ، ومتنفس اي متنفس .

فهو يرمز مثلا لسورية باسم (ليلى) محبوبة قيس، في قصيدته (ذكرى شهداء ايار) التي نظمها سنة ١٩٣٠ فيقول :

ايه ليلى ما دام فيك ابي
مستميت ، فلن يضيروك ليلى
ان تفاخر بمثلهم فبحق
ان تباهي بمن تسامى وابلى
او تكلل بالغار راس عظيم
فجبين الشهيد بالغار اولى

وعلى غرار رمز شفيق جبري الى ديار الشام والوطن بالظبية في قوله :

يا ظبية عرضت لنا بالوادي
حيراء تحذر وثبة الارصاد
طوت البطاح وما اوى لصابها
بين الاباطح رائح اوغاد
ضاقت بها فلواتها فكانما
ضربت عليها الارض بالاسداد

وهناك متنفس آخر للشاعر : انه الطبيعة الحية والصامتة ، يبثها نجواه ، ويجد في آفاقها المديدة ما يعينه على التنفس بعمق ويريح اعصابه المتوترة المتوفزة . واي شيء اولى بذلك من العاصي ونواعيره ، وما بينهما وبين البلاد من انسجام في البكاء والنواح ، وفي الدموع والالم ؟ لنستمع اليه في قوله :

وشجون العاصي تجل عن الوصف ـ
اذا ما خام الحزين ومالا
لو ترى روضه تجلبب حزنا
وتولى آرامه ما تولى
او رايت الجماد يشكو انينا
بدموع ، والربع ينذب ثكلا
لتيقنت انه ثابت العزم
وفي لن يألف الدهر غلا

وتارة يتخذ من مناجاة الطير سبيلا الى اظهار ما تجيش به نفسه من مشاعر وطنية ،ومن اجمل ما قاله في هذا المعنى قصيدة بعنوان (شاعر الطبيعة) ومنها :

ليت شعري اانت ياطير عان
تتغنى بنبرة وسكون
ام تبكي اليفك المتردي
بعد ثوب الهناء ثوب المنون
اصاب الاخدان اظفار باز
فاثارت ذكراهم للشجون ؟
ام تولت وكون قومك ريح
تركتها تنهار بين الحزون ؟

وللشاعر متنفس آخر كان يتاح له فيه الافصاح عن شعوره الوطني وافكاره المؤرقة . فكثيرا ما اقيمت حفلات لتابين رجال البيان والفكر ، او اساطين السياسة والشعر ، او لتكريمهم والاحتفاء بهم ، فكان عمر يحيى يهتبل امثال هذه الحفلات للقذف بقصائده ذات المنحى الوطني .

قام الفوج الكشفي بدار العلم والتربية سنة ١٩٢٥ بزيارة كشافي حمص ، وركب افراده متن الطريق بين حماة وحمص سيرا على الاقدام مدة ليلتين . وفي الطريق نظم الشاعر قصيدة ، القاها في حمص لدى الاستقبال، وقد سيطرت النزعة الوطنية على تلك القصيدة ، حتى لا تجد فيها الا ابياتا قليلة تتحدث عن الكشاف . وقد بداها بالمقطع التالي :

رويدك ان الدار ما قارفت ذنبا
فلا تألها ودا ولا تصلها حربا
اريت مهاها بدلت من بهائها
شحوبا فما لأت المصائب والكربا
سل الرسم ، اما ارتبت عن مجداهلها
يجبك ، والا فاسالن به الشهبا
ولولا خلال اهملتها ليوثها
لما اصبحت في دين عشاقها نهبى
لقد سال غرب الدمع رثيا لحالها
وما غاص حتى هتاج في اثره غربا

وفي البحرين اقيمت سنة ١٩٣٠ حفلة في مناسبة ذكرى افتتاح (نادي البحرين الادبي) وكان الشاعر هناك ، فالقى قصيدة في النادي قال فيها :

نحن يا دار على ما نابنا
ثبت العزم لاعلاء الديار
نترك الجبن ونمشي قدما
وبدار المنتدى نجني الثمار
فمراد المرء سهل ان غدا
يبذل الروح ويهزا باليسار

ثم يشير الى ما فعله الفرنسيون ايام ثورة حماة سنة ١٩٢٥ حين هدموا النادي الادبي فيها ، ونهبوا كتبه ، وكان هذا النادي معقلا من معاقل الوطنية والتوجيه القومي ، فيقول :

هدموا النادي وغالوا اهله
فهم بين اضطهاد وحذار
عرفوا ان به نهضتنا
فرموه باصطلام وتبار
ان للباطل فينا جولة
ثم يأتيه من الحق العثار

وعندما مات الطبيب الحموي المجاهد خالد الخطيب سنة ١٩٣٣ ـ وكان ممن ناوأ الاستعمار الفرنسي بشدة اقيمت له حفلة تابين ، وفي هذه المناسبة نظم شاعرنا عمر قصيدة قال فيها :

شباب الى ماضي العروبة طمح
وشيب ، اذا حق اللقاء ، شباب
يهددهم ريب الزمان ، ولو غدا
مهارتهم لاستصغروه وعابوا
تساوى ـ وقد كان الحبيب حماهم ـ
بعاد وقرب كي يعز جناب
وما ضر ليث الغاب مثواه نازحا
فكل مكان ، فيه ينزل ، غاب

فاذا استقل القطر العربي السوري بعيد الحرب العالمية الثانية ، وجلا عنه المستعمر الى غير رجعة ، كانت فرحة الشاعر عارمة .. لقد هلل لعيد الجلاء ، وغنى قصيدة تعد من روائع الشعر العربي . ومن اولى منه بهذه الفرحة التي انتظرها سنوات عجافا ، راى وطنه خلالها يجابه الاعاقي والنوازل ؟

بدا قصيدته بمطلع عذب ، وفرح منفعل راقص :

شق جيب الليل عن بيض الاماني
فاخفقي يارايتي بين المغاني
واشمخي فوق الها رفافة
انه صبح سرى سامي المعاني

وختمها بأعراس العلا ، وافترار المنى عن الجمان :

الحمى جن باعراس العلا
والمنى افترت سرورا عن جمان
مهرجان رفرفت راياته
اين من الحانه عزف القيان ؟
بسم الدهر له وابتسمت
امة ثكلى برد الصولجان

وفي ايام الاستقلال والحكم الوطني لم يكن عمر يحيى ينسى وطنه الشامخ في كل مناسبة ، ولا ينى يذكر مفاخر هذا الوطن ، وما سجله ابناؤه الغر الميامين في صفحاته من مآثر الاعمال وجلائلها ، ولا سيما حين يرثى الشاعر بعض اصدقائه من الادباء والشعراء . من ذلك قوله سنة ١٩٥٩ في القصيدة التي رثى بها صديقه ورفيقه في المنفى عثمان الحوراني :

وطني تنبت المكارم فيه
ويموج النضال في اصلابه
شيدت صرحها عليه المعالي
واستقر الالهام في اجنابه
وطن اجلبت عليه الاعادي
وتصدت ترميه في اطيابه
كلما خضبت ثرى من نجيد
هب ثان يجري على اعقابه
والشباب الوثاب ينهض للثار
ويابى غير العلا في وثابه
فهو آنا مزمجر يرفض الذل
وطورا يلج في اضرابه

اما فلسطين فقدكان لها ولماساتها في شعر عمر يحيى ونفسه مكان اي مكان ، ونصيب اي نصيب . لقد غرس امانيه في قدسها طالبا ينهل من موارد العلم في الكلية الصلاحية ابان الحرب العالمية الاولى ، فهي مجلى عينيه ومسرح فتوته وشبابه الغض ، ولم ينسها في اية

لحظة من لحظات حياته ، فكان يراقب عن كثب مايجري فيها على الايام ، ويعيش مع أحداثها ، بل كان من السباقين الى تسخير ماله وشعره في سبيلها ، فرثى شهداءها، وتحدث عن نكباتها المتتابعة، وبطولات ثوارها وكان من اوائل قصائده فيها قصيدة بعنوان (شهداء فلسطين الاول) قالها سنة ١٩٢٩ يرثي فيها فؤاد حجازي ومحمد جمجوم وعطا الزير ، الذين اعدمهم الانكليز تحيزا لليهود ، على اثر حادثة موقع (البراق) في القدس . ونفذ حكم الاعدام بالابطال الثلاثة على التوالي بدءا بفؤاد حجازي . وكان المقرر رسميا ان يكون الشهيد عطا ثانيهم ، الا ان جمجوما حطم قيده وزاحم رفيقه فسبقه حتى فاز بمفيته . وكان لهذه الحادثة الرهيبة اثر في نفوس العالمين ، وقد هاجت كامن ثورة الشاعر عمر ، فقال قصيدة خالدة ، منها هذه الابيات :

ياماتما فيه العروبة تنثني
كلمى ، يعاودها الاسى فتميل
قد سجلت فيه العدالة انها
ظلم ، وان لم يجدها التسجيل
تلك الضحايا لم تكن الا صوى
فيها لطلاب الحياة دليل
لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى تروع قذائف وصليل
ما كانت الشهداء رائد امة
وتمددت الا دنا المأمول
فليمش الاستعمار في تعذيبه
فاليوم اقرب والزمان كفيل
ومن الغريب بأن تكون حقوقنا
بطلا ، وباطل غيرنا مقبول

كما كانت قصيدته (ياطير) التي نظمها سنة ١٩٣٢ من اوائل الصرخات القومية وقد تناقلتها الصحف والمجلات ، وتناولها الدارسون في البلاد العربية بالتعليق والاعجاب ، وفيها يقول ، مشاركا تلك البقعة المقدسة مأساتها ، وممجدا بطولات اسودها المقاديم :

ياطير ، في القدس لنا اخوة
اضحى حماهم نهبة للذئاب
والمسجد الاقصى له رنة الثكلى
تنادي للعذاب المذاب
معاهد كانت مراد الصبا
ومنزل للمجد رحب الجناب
اسود خفان حموا حوضها
بهمة وثابة واحتساب
باعوا دماهم في سبيل العلا
فاصبحت عندهم كالخضاب

وهو في كل مناسبة يذكر فلسطين ، ولا يغيب عنه ما تعانيه من ويلات وعذاب على يد الانكليز وحلفائهم ، الذين يتغنون بالوفاء وهم الناكثون ، وينادون بالحرية وهم السفاحون ، فلم يدق قلب شاعرنا طعم الفرحة الكاملة حين نالت سورية استقلالها واحتفلت بعيد الجلاء لان جرح فلسطين ما زال ينزف دما . ولذا سمعناه يقول في قصيدة (الجلاء) التي سبقت الاشارة اليها :

وطر مافيه من عيب سوى
زفرة الضرغام من عسف الهوان
مهد عيسى يعبث الغدر به
ويحد الظلم ناب الثعلبان
اين من عيني نفوس حرة
ما يقاسي من اذاه ويعاني
اصبح البوم به مستنسرا
وغدا الليث صريع الظربان
يافلسطين ، بما يرضي العلا
سوف نرضيك، ومايرضي التفاني
لك في كل فؤاد خفقة
وعيون يعربيات رواني
انت تاج العرب ميراث دم
يونع الثورة في الانفس ، قان

ولشد ما كان يثور ويستنكر وهو يسمع اصواتا تفخر بالماضي المجيد ، وتظن ان تحقيق الاماني يقتصر على هذا الفخر ، او حين يرى العرب متنابذين ، وهم مع تنابذهم وتفرق اهوائهم يرجون شفاء الداء وانهيار معاقل العدو الصهيوني وحصونه ، فيقول سنة ١٩٦٢ :

فلسطين رعت منا صبانا
وغذانا بها (الاقصى) الطعين

غدت شلوا يمزقه الاعادي
ذئاب الغرب ، والسقط الجبين
ونحن ، على تنابذنا ، نرجي
شفاء الداء ، قد اشفى الضمين
متى نرجي الى الاعدا رحانا
فتنهار المعاقل والحصون
وهل بالغابر المحمود نسمو
اذا ما خيب الامل الجنين
ضمانا يابطاح القدس ، انا
على اسلاتنا يحيا العرين
اطار النوم عرض مستباح
وساجعة اطاف بها الخئون

كان الهم الاكبر لدى عمر يحيى هم وطنه ، قبل الاستقلال وبعده ، وهم فلسطين قبل النكبة وبعدها . ولو انه اقتصر على ذلك لما كان ملوما ، بل كان به جديرا الا انه لم يرض بالدائرة الا واسعة ، وبالمطمح الا قوميا مشتركا . انه لم ينس امته العربية جمعاء ، وما عانته وتعانيه من صعاب ، وما تلقاه من كيد الاستعمار وتكالبه عليها ، فكان يقف عند ذلك كله، مصورا ومعبرا ،وراسما الطريق الامثل ، لانه كان يطمح الى وطن افسح ، واعتبار البلاد العربية واحدة في وطنها الاكبر ، يجمعها الشعور بالقومية العربية ، واستحكام الاواصر المعنوية بينها . وبذلك كان شاعرنا عمر من حداة هذه القومية وسدنتها وهو لا يترك سانحة تمر الا انتهزها للاشادة بمقوماتها وبالروابط المتينة بين الاخوة العرب على مدى الازمان وتعاقب العصور .

ففي حفلة تأبين شاعر طرابلس الكبير سنة ١٩٣٣ (عبد الحميد الرافعي) ينشد الشاعر قصيدة تتجلى فيها نزعته القومية الواسعة ، ولا سيما حين ينوه بالآلام المشتركة بين البلاد العربية ، التي هي جسم واحد فاذا ما اصاب الداء عضوا منه ، تحركت له سائر الاعضاء بالشكوى والبوح . يقول مخاطبا ابناء طرابلس الشام :

فياساكني الفيحاء وقع مصابكم
بنا وبكم ، ورغم المفرق، يقدح
ونحن ، على ما نالنا من نوائب
نحن الى لقياكم ، ونوضح
وانتم اذا العاصي اصيب بنازل
غضبتم له اسدا عن الذل تنبح
اذا ما اصاب الداء عضوا تحركت
له سائر الاعضاء تشكو وتشرح

وحين اقيمت سنة ١٩٤٧ حفلة في ثانوية المأمون بحلب لتكريم بعض اخوانه العرب ، في وقت كانت الاحداث العربية تتلاحق وتشتد ، قال ايضا :

جروحنا تتنادى وهي طافحة
تشكو على الدهر كف الغدر والنقم
اذا رمى احدا منا الظلوم شكا
له اخوه نواحيه من الالم
قلبان، جثمان هذا الشرق يجمعنا
ان كان في امل او كان في غمم

● ●

اما اللغة العربية فان عمر يحيى من حماتها ، كيف لا وقد رضع لبانها صغيرا ، وانتقنها يافعا ، ولبث على هواها في السر والعلن ، وثقف بها اجيالا عديدة ، فما احراه ان يرفع لواءها ويحث على اعزاز شانها ؛ ويشيد بمن نافح عنها :

ما لنجل العرب ، ان لم يحتفظ
بتراث العرب، في الغرب اعتبار
لغة العرب اعزوا شانها
ان في اعزازها نبذ الاسار
لغة القرآن شيدوا صرحها
فبها العيش ، والا فالدمار

واللغة العربية من اقوى الروابط بين العرب ، وهي وشيجة ثابتة امام الاعاصير التي تكتنف ابناءها :

ونحن مهما يفرق جسمنا غدر
عند الحفيظة، في الفصحى، ذوو رحم
وشيجة طالما رام العدو لها
قطعا ، فردته في خسر وفي ندم

ذلكم هو شعر عمر يحيى الوطني والقومي ، وهو الجانب الاكبر فيما نظم . ويكاد يجاريه في ذلك غرض آخر بارز ، وهو شعره الوجداني الذي يطل عليك من ثنايا قصائده ، مستقلا بها تارة ، وممزوجا بغيره تارة اخرى .

ان شعره الوجداني صورة لنفسه، في جراتها وانفتها وفي مثاليتها وتواضعها . عرفه الناس مؤثرا للعزلة ،

زاهدا في الشهرة، فانعابها واتخذه لنفسه من مبادىء ومثل نالت اعجاب عارفيه . وهو حاد المزاج اذا دعا الداعي ، سريع الغضب ، ولكنه سريع الفيئة والرضا ، سخي ندب حاضر البديهة رهيف الاحساس .

صورته هذه وسجاياه تلك ، تطل على قارىء شعره ايضا وسيرى فيه المزيد من الملامح والشمائل . يقول خدنه وصديق عمره قدري العمر في تقديمه لديوانه : « قد استلهم شعره من ينبوع خصب من الوحدة والعزلة والوحدة مسكن يلتقي فيه الشاعر بنفسه ، فينطلق خياله وراء مشاهد صافية لا يواريها عنه حجاب ، ولا سحاب ، ولا ضباب . فيمضي في عرضها على بصيرة محيطة جامعة ، في اسلوب اذا تحدث عما يستوحيه منه قال :

عاد الى شيطانه هازئا
بهذه الارض وغيلانها
يسكب ما شاء له فنه
من متع الروح والحانها
صمت الدجى يلقيه في غمرة
من روعة الذكرى والحانها
يرى شعاع الامس في قفرة
يلذ منها عزف جنانها
ان ضاقت الارض بأبنائها
رمته في طيات شطآنها

ويكاد يجمع عارفوه على أن في طبيعته الانطواء والعزلة والانكماش عن الناس . وشعره يصدق ذلك ويؤيده . فالحزن العميق يحوط هذا الشعر بسياج كثيف ، والانين والاسى يطلان عليك من جميع قصائد الديوان ، حتى سماه مارون عبود « شاعر الكآبة والحرمان »(1). ومما قاله في ديوان « البراعم » : « قوام هذا الديوان آنات محروم قلما راى يوما ابيض ، فهو رهن الشكوى والرثاء كما وصف نفسه »(2).

ومن اوائل ما نظمه من وجدانياته قصيدة نظمها وهو في الربيع الثالث والعشرين من رباع حياته ، وافتتح بها ديوانه ، وعنوانها (الشاعر) . وهذه القصيدة تصوره خير تصوير ، وتلخص نفسه تلخيصا مكثفا مركزا جامعا ، حتى كانه نظمها اليوم ، لا قبل نصف قرن من الزمن . وفيها يقول :

قضى ساهدا تستنجد الدمع عينه
وترعى عيون النجم ، والقوم نوم
اذا ما بدت اهواؤه خلل الدجى
تصيد منها ما يسر ويؤلم
يطير على حكم الاماني كانه
ذوابل اوراق بها الريح مغرم
ويتبع تغريد الطيور كانه
يقاسمها من شجوه اذ ترنم
تجثم تحصيل السعادة قلبه
وهيهات ، ضل الحظ من يتجثم
فلم يبق من تلك السعادة والمنى
سوى زفرات ، عن اساه تترجم
يرى الشعر روحا في الحياة وراحة
فيبدي به بعض الذي كان يكتم

ارايت الى هذا السهد الملازم ، والتلذذ بالالم والشجو ، واليأس من نشدان السعادة ، التي لا يقبض منها الا على زفرات تترجم عن اساه ، فلا يجد الروح والراحة الا في الشعر البائح المعبر ؟

كل ذلك لازمه منذ الشباب ، وكانه صديق مخلص يشتاق الى الشاعر ولا يصبر على فراقه ، بل ان الشاعر نفسه هو الذي يهيم بالاشجان ، ويستدعي الكآبة التي خصها بقصيدة منفردة في (براعمه) ، حتى يجعلك تشعر ان همومه مرقسية ، ولياليه نابغية ، ليس صباحها — اذا انجلت به — بأمثل منها :

فؤادي لا تبارحه الشجون
وآلامي اذا غربت تبين
فلا قلب يغني بالاماني
ولا سلوى تخف بها الشجون
كأن الهم يعشقه فؤادي
ويبغضه السرور ولات حين
اذا شهد القرين طويل صمتي
وحزني ، رابه مني السكون
ولو اني استطعت سررت نفسي
ولكن ما اريد بنا يكون ...

(1) على المحك ١٣٣
(2) على المحك ١٢٥

هذه النظرات اليائسة ، وتلك الخواطر القاتمة لازمته طوال حياته ، حتى اصبح يحب تقلب الاحوال، لانه يختزن فيها ذكرياته الموجعة :

اليس تقلب الاحوال
ل ذا فضل على روحي ؟
يحول حزني الماضي
الى ذكرى بما يوحي
الى ذكرى الذ بها
وتصرع بأس مجروح

فما سبب ذلك كله ياترى ؟ وما تعليله ؟

في رايي ان هموم وطنه وامته هي التي ايقظت فيه هذه المشاعر الكامنة وهاجت اوارها ، بل زادته اشتعالا ولهيبا ، واورثته همومه الخاصة ، وزادت كآبته كآبة، فكانت ضغثا على ابالة . وفي شعره من الشواهد والادلة ما يؤيد ذلك تاييدا قويا لا يقبل الجدل .

فمن احب القصائد الى شاعرنا : قصيدة نظمها سنة ١٩٢٦ اي بعد الثورة السورية بسنة واحدة ، عنوانها (بين الحاضر والماضي) ، ومنها قوله :

مهلا عليك فما بنا طرب
ان الفؤاد ، لما عرا ، يجب
الدار كانت روضة انفا
اضحت وليس لاهلها نشب
سرعان ما حالت معالمها
منكوبة ترمى فتلتهب
وجنانها تشكو الخريف ، وهل
شكوى الخريف تفيد من نكبوا ؟

ويقول من قصيدة نظمها سنة ١٩٣٠ في ذكرى شهداء ايار :

حالفتنا الاحزان حتى حسبنا
ان سوى الحزن لن نلاقي خلا
عبرات من الجفون مرتها
زفرات على الفخار المخلى
وخطوب متلوة بخطوب
تعترينا رغم التجلد سجلا

ومن دواعي كآبته وحزنه ايضا ما يراه من تنكر الناس وغدرهم ، وما يأباه طبعه المثالي من وسائلهم الرخيصة الى منافعهم واوطارهم ، حتى فقد ثقته بكثير منهم ، وعاش معهم في غربة نفسية :

عيبت بالناس امرا كلما طمحت
نفسي الى عطفهم قصرت عن امدي
ابدي لهم ماحوى قلبي، فارجعلا
سري حفظت ، ولانالت مناي يدي
ان يبدؤوني بالشكوى بكيت لهم
وان شكوت اليهم عدت بالكمد
قد انطويت على حبي لهم، وهم
يجزون حبي بالايذاء والحسد
فالناس كلهم ناس، من ايام امرىء القيس وابي فراس
حتى ايام ابي طريف عمر :
ـ كذلك جدي ما اصاحب واحدا
من الناس الا خانني وتغيرا
ـ بمن يشق الانسان فيما ينوبه
ومن اين للحر الكريم صحاب
ـ في رياض العاصي ندامای هأموا
ونوني ، وما نسيت الحقوقا(١)

وفي مثل هذه الحياة المجدبة اذن يكون الصديق الوفي كنزا ثمينا لا يفرط فيه ، فاذا اختطفته المنون ضاع صواب الشاعر ، وفقد صبره ، وكان المصاب نازلة تتفطر لها الجبال ، وهذا تعليل ثالث لحزن عمر يحيى الدائم وشكواه الموجعة ، لان هذا الداء الدفين ما يلبث ان يتجدد ما دام في الدنيا موت يختار الجواهر فيما يختار :

اخلاء الصفا عني تواروا
تباعا ، فالفؤاد اسى ضمين
اذا طالعت ذكراهم ابى لي
لذيذ النوم عادية زبون
اخي ماالعمر ؟ ماالماضي ؟ واني
تفرقنا سنبا ؟ اين القطين

(١) البيت الاول لامرىء القيس ، والثاني لابي فراس الحمداني، والثالث لعمر يحيى .

هذه ابيات قالها في قصيدته التي رثى بها صديقه الوفي قدري العمر ، ومثلها يتردد في رثائه لخلص اصحابه واخوانه الذين تعاقبوا على ورد الحمام : كامين الكيلاني وابراهيم العظم ، وعثمان الحوراني ، وبدر الدين الحامد وقدري العمر ، وغيرهم ...

وفي حديثنا عن شعر عمر يحيى الوجداني ، لا بد ان نمر بغزله الذي ملأ ديوانه ، والذي نستشف من ورائه نزعة عمرية «ربعية» ، انه كسميه عمر ابن ابي ربيعة شاعر الهوى والحب والجمال ، وكأنه موكل بذلك كله. وشعره ينبيء ان صاحبه كان في اوائل حبه الوليد يكتم هذا الحب ، ويمنعه وقاره المبكر ان يصرح به لمحبوبه ، على الرغم مما يقاسيه من سهد وارق :

اذا لاح لي انسيت ماكنت اشتكي
على انني ، من ان اصرح ، اوقر
وسهد جفني حين نامت عيونه
فياليته عما اقاسيه يخبر

ويظل هذا دابه ، ممنوع الرقاد ، يحن الى المحبوب ويتمنى ان يزوره طيفه ولو في المنام ليشكوه اليه ، ويجد النصرة عنده :

يا من منعت رقادي
قد حرت فيك بأمري
ما ضر طيفك وهنا
زيارتي وهو يسري
اشكو اليه شكاتي
وابتغي منه نصري

وقد اتيح له ان ينعم بلقائه بعد حر البعاد ولوعة العتب ، في فرص ذهبية سانحة ، ولكن الدهر لم يغفل عنه ، فابدله بليالي الانس ليالي الوحشة وتجهم له ، فراح ياوي الى ذكرياته بعد ان مزقت قلبه كف النوى والهجر ، وبقي على هذه الحال حتى كاد يضيع عقله ، فقال بعنوان (مجنون) :

يقولون لي : انت مجنون فقلت لهم :
هذا جنوني فيمن لا يحبني
قد عاش قبلي قيس وهو ذو وله
بمن يحب بلا عقل ولا دين
كم من معنى اضاع العقل في رشا
يختال في حسنه بين الرياحين
قالوا : جننت بمن تهوى فقلت لهم :
اجل ، فيا حبذا عيش المجانين

واخيرا تمرد على ذل المحبة ، واعلن العصيان ، واخفق حبه (بكسر الحاء) في ايقاعه ثانية بشباكه ، على تعدد اساليبه في الاغراء : من سلام او رشاقة حلوة ، او بسمة محيية للامل ، او نظرات ولفتات . ولكن الشاعر بريء من الحب ، واطمأنت نفسه ، ولم يعد يستعصي عليه النوم :

ذل المحبة صرت اكرهه
مما لقيت عناء مضطهد
لا ناقتي في الحب ، لا جملي
لا عاذلي اخشى ولا سهدي
ودعت نجم الليل من زمن
وبرئت من ارجاف ذي الحسد
ودعوت نومي فاستجاب ، وكم
ناديته جهدي فلم يعد

هذا هو غرام الشاعر ، بدءا ونهاية ، في المرحلة الاولى من حياته ، مرحلة البراعم وهو على ابواب الكهولة فماذا بعد ذلك ؟

يبدو ان توبته لم تكن نصوحا ، وانه عاد يحب ذل المحبة ، ويخشى العاذل والسهد ، ويالف نجم الليل ، ونومه لم يعد يستجيب له .

لقد استفتح اول سنة من مرحلته الثانية عام ١٩٣٧ بنداء حبيبه بعد ان وافى الربيع ، ودعاه الى خلع العذار ومبادرة الحظ قبل حلول الشيب ، جلباب الوقار ، فقال :

يا حبيبي قم فقد وافى الربيع
وتغنى في حمى الغصن الهزار
يا حبيبي دمية الفن البديع
ليس يروينا سوى خلع العذار

فلنبادر حظنا قبل الهلوع
وحلول الشيب جلباب الوقار
قم الى الكاس ولا ترض الخضوع
فلذيذ العيش لهو وعقار

ولبث بعد ذلك يتبع الجمال موكلا به ، ويجري مع اللهو طلق الجموح ، يطيب له الرشف واللثم والنظر ولا يطيق الصبر عن ذلك ، بل بقي قلبه يخفق بالحب ، وعاد اليه السهاد والارق ... حتى اذا اصبح في ذروة السبعين اخبرنا ان قلبه ما زال فتيا ، ولم يرو من الهوى ولم يمل من الحديث عن الماضي الغابر ، ويكفي ان يطل عليه وجه جميل حتى يذكره بماضي هواه . وهذا ما اعلن عنه في قصيدته (هواي الصبي) حيث يقول :

وما زلت مني هواي الصبي
فلا تحسبيه هوى القلب
فيا خفقة القلب ان تأرني
ويا بهجة الروح لا تغضبي
عرفتك قبل اوان المشيب
مشيبي ذنبي ولم تذنبي
فهاتي حديثك عن غابر
لذيذ الاماني مستعذب

●

ويأتي الوصف في مقدمة الاغراض البارزة في شعر عمر يحيى ، بعد الوطنيات والقوميات والوجدانيات . وينصب وصفه على ما تقع عليه عيناه او ينفعل به . فقد وصف حماة : قلعتها ، وعاصيها ، ونواعيرها ، كما وصف الخريف والربيع من الفصول ، واعجبته متنزهات انطاكية ، ولا سيما دفنة وشلالتها الفاتنة ، فوصفها احسن وصف وابدعه .

وهذه الاوصاف كلها تنطلق من مرتكز واحد ، هو حب شاعرنا للطبيعة وهيامه بها ، وافتتانه بسحرها ، وهذا ما عبر عنه بقوله عن نفسه :

له كلف بالزهر في الروض والربا
فبالورد مغرى ، والخزامى متيم

وحماة هي ام الطبيعة الخلابة ، التي طالما تغنى بجمالها قدامى الشعراء ومحدثوهم ، يقول فيها :

حماة تسامت بالجمال فلا ترى
بها غير روض ناضر وكثيب

لها حلة الطاووس حسنا وبهجة
يحق لها اعجاب كل طروب

اذا ما تراءت فوق اغصان دوحها
حمائمها تزهى بكل قشيب

حسبت بأن الورق جادت بطوقها
عليها فخصتها بخير نصيب

وصفق ماء النهر حتى كأنه
مدام تولاها بنان خضيب

وشادية العاصي تردد لحنها
فتبعث في الارواح سحر نسيب

وهو لا يكتفي بالوصف الموضوعي الذي يقوم على التحديق في الشيء والاحاطة به ، ووصفه وصفا مجردا من شعوره ، بل يسحب شعوره هذا على الموصوف ، ويتأمله ، ويعتبر به ، فيكون الوصف مشوبا بظلال العاطفة الشخصية . فها هو ذا يقف في روضة هبت عليها ريح حارة ، فيصفها ويعتبر بما اصابها ، من عري الادواح ، وذبول الورود :

ياروضة اعين الرواد ترعاها
اتيتها راغبا في شم رياها

ما بال ادواحك اللاتي تظللني
غصونها تشتكي للعري بلواها

ووردك الغض أضحى بعد نضرته
يزجي من الريح آها والبلى آها

كما انه يغبط ساكن الغاب على حياته النقية الصافية . والغاب هو ذلك العالم الذي تتلاشى فيه ثنائيات الوجود من خير وشر ، ونور وظلام ، وسيد ومسود ، وتتحد عناصرها المتنافرة في عالم رمزي خلقه ادباء المهجر لانفسهم . فيقول في اوائل الثلاثينات من هذا القرن :

ياساكن الغاب ذق ماشئت من فرح
فالطير والنبع والاشجار قد جمعا

داعب صداك ويمم شطره، فاذا
اخفقت فالظل يكفي طامعا طمعا

طبيعة الله احيت فيك بهجتها
فالزم حماها، فما راءكمن سمعا

اخلت فؤادك من غل ومن حسد
فعن كالطير في ظل الندى سجعا

وفي شعر عمر يحيى جوانب اجتماعية ، ولكنها قليلة اذا قيست الى اغراضه السابقة . فقد قال الشعر في الام ، والمدرسة ، والمعلم ، والعلم ، واليتيم ، وبعض هذا الشعر ذو طابع قصصي .

ومن شعره الاجتماعي لون طريف يقوم على المطارحات الاخوانية المرحة التي تتجلى فيها روح المرح والدعابة وخفة الفكاهة ، مع براعة في الصياغة تخفي وراءها موهبة شعرية مطبوعة . وهو ما يمكن ان نسميه (شعر المباسطات والمداعبات) . فان ما حضره عمر يحيى من مجالس الانس والسمر ، وما اشترك فيه من نزهات جماعية ومطارحات شعرية كان يملي عليه ان ينظم هذا اللون من الشعر الفكاهي الخفيف الذي تستحليه الاذن ، وتستلذه القلوب، لانه يجمع بين الخفة والرشاقة وبين الرقة والجزالة معا .

من ذلك ما قاله حين تزوج احد اصدقائه ، اذ نظم قصيدة يهنئه فيها بهذا الزواج ، ويحذره في الوقت نفسه من عقابيله ، فجمع في تلك القصيدة بين التهنئة والتعزية ، وهي طويلة اقتطف منها الابيات التالية :

زواج بالسعادة يا حبيبي
وقاك الله من عقبى الزواج

تقضي شهرك المعسول شهرا
لذيذا بالتعابث والتناجي

وياتي بعدها يوم تنادي
لعلي ساكن قن الدجاج

وسوف ترى مزاجك ياعزيزي
الى شهرين اهدأ من مزاجي

فتحمل سلة المطعوم ، فيها
من البطيخ مع لحم النعاج

وتحمل ما يريد البيت زيتا
اكان ، ام اللبان مع (الكماج)

اذا قضيت هذا اليوم حاجا
تجدد في غد امر بحاج

فناج اليوم نفسك كيف كانت
حياتك قبل هذا اليوم ناج

اذا ماشئت بعض النصح مني
وتبعد عن مديح او تهاج

فعش عزبا ، فان لم تستطعه
فضربا بالبوارق في الفجاج

●

لقد طالت وقفتي عند موضوعات شعر عمر يحيى ومضامينه ، بل عند ابرز تلك الموضوعات ، فماذا عن بعض خصائص هذا الشعر واسلوبه فيه ؟

يبدو لي أن عمر يحيى شاعر غير محترف ، لم يتخذ الشعر صناعة او عملا يوميا ، وانما كان يقوله تعبيرا عن نشوة تملأ جوانحه ، او اشباعا لرغبة فنية تراوده ، او تصويرا لصبوة نفس تفرغ مكامن الحس عنده، وتستثير كوامن الفن لديه ، حين تدعو الحاجة الى ذلك ، وتتوافر بواعثه بين ضلوعه . فالناظر في شعره لا يكاد يعثر على قصيدة بلا مناسبة دعت اليها وساقت الشاعر الى النظم فيها . فلم يكن اذن هاوي نظم ، وانما كان شعره نابعا من تجربة صادقة ، ومعاناة حقيقية للحوادث والدوافع وهذا ما جعل شعره في مستوى واحد من القوة والفن ، لا تفاوت فيه ولا تفاضل ، ولو كان يقول الشعر كيفما اتفق ، وفي كل حين ــ كالزهاوي والرصافي ــ لكان هذا الشعر مضطرب المقاييس ، متفاوت المنزلة ، لا يشد بعضه بعضا .

وهو الى ذلك شاعر بين الاناة والطبع ، فهو يقوم شعره بالثقاف ، ويعيد فيه النظر بعد النظر . كما انه يسمح بالشعر ، ويقتدر على القوافي ، فتتبين على شعره رونق الطبع ـ على حد قول ابن قتيبة ـ ووشي الغريزة ، ولطف المعاني ، فكأنه الشاعر المخضرم شويد بن كراع حين يقول :

ابيت بابواب القوافي كأنما
اصادي بها سربا من الوحش نزعا

اكالئها حتى أعرس بعدما
يكون شحيرا او بعيدا فاهجعا

او كأنه عدي بن الرقاع حين يقول :

وقصيدة قد بت اجمع بينها
حتى اقوم ميلها وسنادها

نظر المثقف في كعوب قناته
حتى يقيم ثقافه منآدها

ومن هنا اجاد في اغراضه الشعرية على تعددها ، دون ان يكبو جواده في واحد منها . فلا يسهل عليه الوصف ليعر الغزل ، ولا يتيسر له الشعر الوطني ليتعذر عليه الشعر الاجتماعي ، بل يواتيه طبعه ولا يخونه اذا توفرت المناسبة . وبذلك انسجمت في شعره متانة بشار ، وحكمة المتنبي ، وعذوبة البحتري ، ورقة ابن زيدون ، وجزالة ابن هانيء . ووصف ابن الرومي . . وقد تناسقت هذه المظاهر في شعره تناسقا جميلا ، وامتزج بعضها في بعض بحيث تكاد متابعها تفلت من ايدينا وتضيع علينا ، لان شاعرنا اكسب اسلوبه بعد ذلك طابعا خاصا به ، وكساه حلة عمرية تفرد بها .

ومن امارات الطبع عنده انه قلما يعود الى المعجم حين ينظم ، اذ تنثال قوافيه انثيالا عجيبا مهما كانت كلماتها صعبة او غريبة ، او كان بحرها آبدا شاردا . يساعده على ذلك كثرة محفوظه الشعري مما اختزنته ذاكرته الغنية ، ولهذا يتجلى في شعره شيوع التضمين لاشعار السابقين التي تفد على خاطره في اثناء النظم بلا تعمد او تصيد ، بل تأتي عفوية لا تكلف فيها . كما يتجلى معجمه اللغوي ثرا يتدفق معينه في ثنايا ما ينظم ، فيصبح شعره معرضا لثقافته اللغوية وبيانه الاصيل ، وهي مزية يكاد يتفرد بها من بين معاصريه من الشعراء .

لنستمع اليه في الابيات التالية ، مطلع قصيدته عن (المتنبي) يتبين لنا صدق ماذكرناه ، وقد نظمها سنة ١٩٣٦ بمناسبة مرور الف عام على وفاة المتنبي :

ولدته وهو الى العلاء يلبح
فربا وشاب ودابه التطويح

الارض مسقط جسمه ، ولروحه
افق السماء وما يضم اللوح

هل صيغ من نغم البلابل مهده ؟
كلا ، ولا منه الورود تفوح

بل من اهاب الليل قد قميصه
صم الصخور مهاده والشيح

● ●

وبعد :

لقد غنى عمر يحيى الوطنية والعروبة ـ وهما من اشرف اغراض الشعر ـ فكان من حداتهما وسدنتهما ، كما غنى الحق والحرية ، والجمال والحب ، وديوانه سجل ، لا لآماله وآلامه وحسب ، بل لآلام جيل كامل وآماله . فهو الشاعر الشاعر ، الذي عاش في عصره ولعصره ، وعاش عصره فيه ، ايقظ وعي امته فيمن ايقظ ، وارهف حسها فيمن ارهف ، واعطاها من جذوة صدره ، وعبقرية شعره قبسا تضيء به الحياة ، فكان له على امته ووطنه يد سلفت ، ودين مستحق .

محمود فاخوري

مدرس بكلية الآداب ـ حلب

يا أبا الشعر

عدنان قيطاز

ما على الشعر ان تصباك سحرا ... يخطر السحر كلما قلت شعرا
لك في دارة الجمال أغاريـ ... ـد فتون كذائع الطيب نشرا
حملتها الصبا رسائل شوق ... جن منها الضحى فغار وأغرى
هي في طهرها دعاء حبيبيـ ... ـن أسرا من المنى ما أسرا
يا نجي البيان غن ليالي ... ك وزدنا فأنت بالشدو أحرى
في شفاه النجوم رجع أغانيـ ... ـك ٠٠ وهذي الربوع للروح مسرى
يغرق الحس في مفاتنها الزهـ ... ـر ٠٠ ومجلى السرور ما زال بكرا
تتهادى الظباء غير أثيمات ، فتزهو خدا وتسطع نحرا
في ردائين من عفاف ودل ... طوحت بالقلوب يمنى ويسرى

★ ★

كم ليال على الضفاف تقضت ... تحت ظل الصفصاف ترقب فجرا
وليالي العاصي جمال وشعر ... هن دنيا النعيم ٠٠ بل هن أثرى
نهر ذائب اللجين مطيع ... ونواعيره تساقط درا
لست أدري ٠٠ أتلك جنية الليـ ... ـل استحالت خنساء تندب صخرا
هينمات مدى الدهور شجيات ٠٠ ومستعبر يساجل عبرى
تتملى الاسماع نغمتها البكـ ... ـر ولا تشتكي ملالا ووقرا
في حنايا ضلوعها ألف سر ... غير أني ما اسطعت أكشف سرا

★ ★

يا أبا الشرد الحسان ترنم ... وبأسرار ما مضى هات خبرا
ليلة الشعر ليلة القدر في العمـ ... ـر نعيما ، وليلة المجد غرا
من صراع الافكار هذى التجاعيـ ... ـد كتابا نتلوه سطرا فسطرا

وبياض المشيب اكليل غار ... من فخار .. بكل أبيض أزرى
نبعة أنت من مكارم قومي ... سال شؤبوبها على الكون غمرا

★ ★

يابن يحيى .. وأين عثمان يروي ... من هموم البحرين والهند سفرا(١)
كنتما في النضال توأم عزم ... لم تضيقا على الشدائد صدرا
رعتما دولة الطواغيت في المنفى .. فساءت في العاقبات مقرا
ولبين الضلوع وقدة نار ... من زنيم .. اذا خبت تتورى
لا ادعاء .. فأنتما في الياديـ ... ـن وريثا مفاخر الحمد طرا
ان يكن في الخلود طاب مقاما ... فلقد عشت للعروبة ذخرا

★ ★

كيف تنسى الاجيال صنعك فيها ... يوم كان الحمى يباع ويشرى
أنت ألبستها دروع التحدي ... موقنا أن في المذلة كفرا
في رحاب اللواء طابت مجاليـ ... ـك وكان اللواء يفتر ثغرا(٢)
عربي دما وأرضا ولكن ... أسلموه الى أعاديه غدرا
ولعمري منابر العلم تدري ... ما تلاقي وأنت ترهق عسرا
للمعالي ونصرة الوطن الغالـ ... ـي مساعي الرجال سرا وجهرا
كلما جندل الطغاة شهيدا ... وقف الشعر منك وقفة ذكرى
(وطن ينشد الحياة وشعب) ... أنت أدرى بشجوه أنت أدرى
تتحدى جراحه لهب السـ ... ـوط وأنفاسه تصعد حرى
عاصفات الزمان لم تلو منه ... عزمة صلبة ووجها أغرا
في رقات الاحرار من عبد شمس ... صيد .. هل يلام من كان حرا
نحن من غرسك الكريم شباب ... عبقري الرؤى جلالا وطهرا
لم نهادن في زحمة الخطب خطبا ... لا .. ولا ريع سربنا حين كرا
قد نذرنا النفوس وهي غوال ... وخطبنا الرؤوس نطلب ثأرا
وجعلنا الدماء مهر جلاء ... وحفرنا لقاهر الشعب قبرا

★ ★

مرت الحادثات بيضا وسودا ... ولواء الشآم يختال فخرا (٣)
غير أني لمحت أشباح هول ... تتخفى حينا وتظهر أخرى
انهم من دم الغزاة بقايا ... وبأرضي فلولهم تتدرى
أيها المترفون يا من بشمتم ... أمن العدل أن نجوع ونعرى ؟
كل ما تشتهون ملك هواكم ... وسواكم يموت بؤسا وقهرا
من دمانا شربتم ألراح صرفا ... وشربنا بعد المرير الامرا
الغلاء البلاء حل ثقيلا ... كم علينا من المصائب جرا

عدتم منه بالوفير وعدنا ... يا لصرف الزمان .. نلعق صبرا
جشع في نفوسكم ليس يهدا ... وابتزاز لديكمو ليس يهرا
لا تظنوا العفاة ناموا طويلا ... فلقد أبرموا مع الليل أمرا
أنتم داؤنا الوبيل وطب الشعب آلى أن يحسم الداء قسرا

★ ★

نحن في عرينا نطل على التاريخ .. نستوطىء المجرة كبرا
قد ضفرنا من الضحايا سنا المجد وكنا لوحدة العرب ظئرا
لم تهن عزمة الشباب ولا الشيب .. فيا موطن النبوات بشرى
موكب النصر قادم من بعيد ... راعد الجحفلين شاما ومصرا
كل من قال بالسلام غرير ... يا فلسطين .. غزوة الفتح كبرى
ليت قدري وليت بدر القوافي ... قلدا المهرجان شعرا ونثرا (٤)
خل يا ليت واستمع لفحول الشعر تشدو فيرقص الكون بشرا
لا تقولوا انطوى سجل الياميين وضاعت ولاية العهد هدرا
نحن من بعدهم حماة لسان الضاد أعلى يدا وأرفع قدرا
أرضعتنا (حماة) من لبن الشعر ومدت لنا الى الخلد جسرا
من جراحاتنا لهيب القوافي ... تتنزى ضراوة حين تضرى
أدعياء القريض تجفل منا ... ان ركبنا الجلى وتنهار ذعرا
شعرنا العذب مثل منبجس الصخر .. ولمع السراب أوهام سكرى
يحفر النهر أينما سال مجراه .. ولكن لأيهم كان مجرى
عجمة في لسانهم تكشف الزيف ، وزيف الطباع باد معرى
نحن شمس (الاصيل) هل تلحد الشمس ؟ ونحن البحور مدا وجزرا
ان يكن في الحجاز سوق عكاظ ... فلدينا مواسم الشعر تترى

★ ★

يا أبا الشعر والحديث شجون ... لا تلمه اذا عصى لك أمرا
غربته الآلام في غيهب العمر . ولكن ما زال ريان نضرا
أنت علمته نشيد القوافي ... فمضى في الذرى يحلق نسرا
نصف قرن وأنت تملي على الدهر ويصغي اليك قلبا وفكرا
صامتا زاهدا بكل جلال ... لست ترجو على المفاداة أجرا
لك في ذمة البلاد أياد ... لن توفي جميلها اليوم شكرا

---

١ ــ عثمان الحوراني من رجالات التربية والنضال القومي ولد في حماه وتوفي فيها عام ١٩٥٩
٢ ــ لواء الاسكندرونة .
٣ ــ يصور هذا المقطع فئة مستغلة اثرت على حساب الشعب منتهزة فرصة انشغال الحكم الوطني في القضايا القومية الكبرى .
٤ ــ قدري العمر اديب حماه توفي عام ١٩٦٢ وبدر القوافي هو شاعر العاصي بدر الدين الحامد توفي عام ١٩٦١

هذا الإنسان

سهيل عثمان

اول مـا يلفت النظر في شعر عمر يحيى هـو هـذاالخمار الاسود الذي يبرقع كثيرا مـن شعره فامـارات الحزن والكآبة وخيبة الامـل تتردد متشاكية في شعرهووراءها يقبع الاعتقاد الدائم بان كل شيء هش وقابـل للزوال والتقويضبسرعة فما منسرور او ربيع او شباباو مجد يـدوم ، ان شاعرنا يلمح الشيب في الشباب ، والخريف في الربيـع والموت في الحيـاة وتمتلىء نفسهبمرارة الخيبة وانقضاء الافراح

قـد كنت ارجو ان اعيش ولي
في الشرب من خمر الهوى قدح
لـم تحظى نفسي بالمنى زمنـا
الا وغـرب للمنـى .. شبـح

● ●

شجـن ليس يرتجى ابلالـه
وعـذاب ادبـاره اقبالـه

● ●

اراني حـائرا بـين الامـاني
وبـين الياس في أسـر وسجن

وقد فـرت هـذه الظاهرة حينـا بانها ناتجة عـن شعوره بآلام امته التي شب ونشا على معاناتها وما زال يعانيها ، الا اننا يجب ان لانهمل دور العوامل اللاواعية في تكوين الشخصية وهي عوامل تبدا عملها عادة منـذ الطفولة وتقبع في اعماق النفس فعالـة من غير ان يدري صاحبها نفسه بفعاليتها . فاذا حاولنا الكشف عن هذه العوامل اللاشعورية نجـد ان شاعرنا ابـا طريف عرف طفولة نموذجية في هذا الموضوع لانه فقد ابويه كليهمـا وهو لـم يبلغ الرابعة بعـد ويتذكر منهما بشكل غامض جـدين مسجيين ، ومهما كان عطف الاقرباء وتلاميـذ ابيه الشيخ على هذا الطفل الحـاس الذي كان اول ولد ذكر يعيش بعد ان مات لوالديه عدد من الابناء فان هذا العطف لن يزيح عن كاهل الطفل كابوس اليتـم المزدوج

والحرمان الـربع من احدب مخلوقين عليه، وقد اضـيفت الى آلامه الخاصة آلام اخته واخيه . لهـذا يفدو مـن الطبيعي ان يلاحقه دائما شبح الزوال والخوف من ذهاب البهجة والعدل والهنـاء وحلول المقت والالـم والخراب محلها . بهذا افسر شعوره بهشاشة كل شيء ، وبهـذا افسر الكآبة المنتشرة في شعره بل لعلي لا اتجاوز حدود المعقول اذا فسرت بجرحه ذاك حبـه للاتقان وميله الى أن يتتبع كل صغيرة وكبيرة مما يعمل ومما يقـول حتى ياتي فعله كاملا او شبه كامل اذ ما دام يعتقـد في قرارة نفسه ان مخلب الفناء سريع التأثير فاذا لا بد ان يتخـذ الاحتياطات التامـة في كل ما يفعـل كي لا يترك لقابلية الانهيار ثغرة تنفذ منها ، ومن هنـا ياتي الجهـد الكبير الذي بذله في اعداد نفسه ثقافيا وجسميا اذ لم يكتفي بالدراسات الادبية وهو المختص بها بل اطلع على الجانب العلمي ولم يكتف بتراث قومه وهو المتمسك بهم بـل اطلع على الآداب الاجنبية وترجم بعضها في شعره سواء اكانت غربية ام شرقية، وقد قام بمجهوده الثقافي الضخم من غير ان ينسى العناية بجسمه ورياضته .

ومن المعروف عن استاذنا ابي طريف انه انيس وديع حلو الحديث الا اذا انتابه الهيجان وبشكل خاص هيجان الغضب فانه ينقلب ولو لفترة قصيرة كائنا آخر مبرقـا مرعدا ولعلي المح وراء هيجانيته هذه جرحه القديم ذاك الذي يجعله يتصور الامور آيلة الى التقوض اذا لم يفهم سامعوه مراده أو لم يؤدوا ما يتطلبه الفوز بالاماني مـن جهد مركز انه يثور لان نفسه تمتلىء بهذا الخوف الدائم عنده من الخراب وحلول الشقاء محل السعادة وهو في ثورته هذه يحتج على الطرف الآخر الذي اغضبه بـل يحتج بأجمعه وفي الوقت نفسه يتخلص من حصار ذلك العالم ولهـذا يعود بعـد الثـورة اكثر هدوءا ووداعـة مما كان قبلها .

ان غضبه وميله المتنـائم لم يأتيا دائما من اللحظـة الراهنة بل ان اللحظة الراهنة يوجد فيها الوجهان المفرح والمحزن في اغلب الاحيان ولكن هموم الحاضر ومتاعبـه تدعمها طاقة الالم المستقرة منذ الطفولة في اعماقه .

ان اطـافت بربعـه نـازلات
ضاعف الرزء والمصاب خيالـه

واذا كان الشعـور بالهشاشـة والكآبة اول مظهـر يستخلص من شعره فان الظاهرة الثانية هي الاحيائية لا احيائية الطبيعة الموجودة لديه ولدى كثير من الشعراء بل ايضا ميله الى احياء كل قديم عزيز ودعمه وكانـه يخشى على اعزته عوامل البلى من ذلك انه اسمى نفسه « عمر يحيى » مستغنيا عن اسم عائلته مع انها عائلة معروفة في الاوساط الثقافية متكنيا باسم ابيه الشيخ يحيى الفرجي احياء لاسم هذا الوالد عندما يقترن باسم ولـده . ومن ذلك انـه يملىء شعره بالآيات القرآنيـة والابيات الشعرية القديمـة وانصاف الابيـات والحكم والامثال السائرة والاقوال الشعبية الدارجة على الالسنة والتي قد يكون ظاهرها عاميـا ولكن حقيقتها فصيحـا مثـل (شروالك) بمعنى نظيرك ومثـل (حصنته) بمعنى حميته وعملت على حفظه ... واعتقادي هو أن هـذه الاحيائيـة قائمـة هي ذاتهـا على جرحـه القديم وان ارتبطت بهموم حاضرة وبخاصة بهمه العربي فهو منـذ العشرينات من هذا القرن بل من قبلها من انصار العروبة المتحمسين كثير الندب لمجد امته الزائل كثير التنديـد بحاضرها شديـد الحملة على خصومها صريح النقـد للمقصرين في حقها مع دعوة دائمة الى الكفاح من اجـل اعادة ايامها المجيدة .

امن التمدين ان يدافع ماجـد
عـن حوضـه فينالـه التمثيل
ومن الغريب بأن تكون حقوقنـا
بطـلا وباطـل غيرنـا مقبـول
تفرق القوم لا حزم ولا حـذر
ووازع الدين اعشى طرفه النـهر
صرنا ضعافا واعداء النفوس غدوا
كالنـار تمتـد لا تبقي ولا تـذر
اين الاخـاء وأيـن الاقتـداء
بماجاء النبي به والوحي والسور

وهو اذ يعرج على الدين مقدرا لقيمته الثمينة فانه يهتم بالجانب القومي الاجتماعي الاخلاقي منه فهو ينظر الى الدين الاسلامي كقرين للعروبة ورفيق في النصر ويعجب باخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام ويتمنى ان تقتدي الامة بهذه الاخلاق فتخلص ويحسن ابناؤها العمل في سبيل قضاياهم كما يحسنون التعامل فيما بينهم ويتركون الانانية والمطامع والجحود السارية فيهم واما الجوانب الاخرى من الدين فانها لاتظهر كثيرا في شعره كما ان ظواهر التمرد ذات الصلة قليلة الورود في شعر شبابه نفسه .

ولو ان هذا القيد ربك صاغه
لما انب العاني بكفرانه الربا

ومن تمرده النادر على الاخلاق :

ان قيل اخلاق فهم
ما يقال وغش فين

ومما لا تخفيه شخصية عمر يحيى على كل متعامل معها او باحث حولها الطبيعة الفردية لهذه الشخصية فشعره ثمرة قناعاته سواء اكان مجرد تعبير عن همومه الخاصة وتفريغ لانفعالاته ام كان موجها للآخرين وبشكل خاص ابناء امته التي التزم بالدفاع عن قضاياها والحث على النضال في سبيلها وهو في سلوكه العملي فردي ايضا فقد عزف عن الانتماء الى التنظيمات الاجتماعية بعد التجربة والسبب في ذلك مالاحظه من سوء تصرف واستغلال لطاقة الجماعة من خلال العمل التنظيمي وهو بهذا يطرح على الاذهان مشكلة يبدو انها لم تحل بعد وهي مشكلة موقف الانسان من العمل التجمعي فعلماء السياسة يرون ان الانجازات تحتاج الى الطاقة الناتجة عن الاعمال التجمعية في المنظمات ومن اجل ذلك تفتفر الاخطاء والانحرافات ان ظهرت في الجماعات العاملة في ميدان القضايا العامة ، واما الفرديون الاخلاقيون فيرون ان العمل الذي لا يقوم على الاخلاق السليمة عمل فاشل وان كان عملا جماعيا وكل كسب يأتي عنه فهو كسب مؤقت ما يلبث ان ينتهي بفشل اعظم منه . واذا كان ابو طريف فرديا فهو قد فهم فرديته بشكل يرضي العلاقات الانسانية الصحيحة لقد فهمها فردية كريمة معطاء تؤدي واجبها واكثر من واجبها وتحب العدل وتقف عنده وتهتم بسمعتها ولذلك ربا بنفسه عن الانخراط في جماعات اللذة النواسية التي تعرفها بلادنا في كل زمان ومكان وان اطل عليها واكتفى بان يحب الجمال حبا لايخدش سمعة ولا يسيء الى واجب انه متأثر بالفارس الجاهلي وبالمجاهد الاسلامي والقومي الاموي اكثر من تأثره بفقهاء اللذة من العباسيين وقد غدا في سلوكه مثال الاعتداد والعطاء واداء الواجب والانكباب على الثقافة فاصبح محل اعجاب التلاميذ والزملاء وكل من تعامل معه او احتك به مع بسمة تمر على الشفاه عند تذكر ثورات غضبه . والحق انه جم فرديته في شخصية المعلم فكان معلما مربيا في جميع جوانب حياته وانه في شعره معلم ومعلم متحمس امام تلاميذ ليسوا دائما بالنجباء فهو يصيح بهم (انتبهوا) و (يا قوم) ..

ونحن ايضا بلغة المعلمين نقول مرحى له مناضلا ومثقفا وشاعرا مرحى له معلما وشكرا له على قوله :

الحكم للايام فانتبهوا
لا الفخر ينفعنا ولا الطرب

آمنت بالاحداث قاطبة
وبما تجيء به وتنتهب

أترى على ادواحها زهرا
ذهب الجميع النور والذهب

انا لنذكر للورى نبأ
ودواؤنا الاخلاص لا النسب

لهفي على المجد القديم ومن يرى
مجد العروبة انه سيهون

ياقومنا بالله لا تتفرقوا
فالخطب اعظم والعدو متين

ياقوم ان نشكو الشقاء ففي غد
كل السرور لوارعوى المفتون

سهيل عثمان

سليمان العيسى

لا تعاتبنـــي .. تقصيـت الوتـر ... فاذا الينـــوع والساقـي عمـــر
زغبا كنـت عـــلى درب الـرؤى ... حين مد الريش في دربي عمـــر(١)
زغبـــا كنت ... بأنطاكيتـــي ... انـــه أول قرائـــي .. عمـــر(٢)
« شاعر أنت » .. والقى في دمـــي ... جمـرة الحلم .. وغـذاهـا عمـر
« يا صغيري » ورمـــى عصفـــوره ... في عباب « الاصفهاني » عمـر(٣)
خذ ، تعلم ، انت صـــوت نـــادر ... يخلـــق النـادر أمثـــال عمـــر
ومشى العمر .. وكنـــا أبـــدا ... عطش الصحـــراء والغيـم عمـــر
عفـــة تهـوي السمـاوات عـــلى ... قدميهـــا .. سمهـــا نفس عمـر
وبيـــان عربـــــي تشتهـــي ... سكبـــه النعمـى اذا قال عمر(٤)
مجـده أن يركـــع المجـد على ... كبرياء الزهـــد بالمجـد عمـر
مجـده جيـــل بنـــاه صامتـــا ... يا بقـايا السيف ، يا جيـــل عمر
يشمخ الشامخ منـــا انـــــه ... كان يومـا .. كان تلميـذ عمر(٥)

---

(١) لم اجد تكريما للقافية العربية اجمل من تكراراسم هذا المحارب القديم عمر .
(٢) اول قصيـدة لي نشرهـا عمر يحيى في مجلـةادبية كانت تصدر بانطاكية .
(٣) اول من اعارني أجزاء من كتـاب « الأغـاني »لابي الفرج الاصفهاني لاطالعها وانـا تلميذ في المدرسـة الابتدائية بأنطاكية كان عمر يحيى .
(٤) كان عمر يحيى راويـة ساحرا لروائـع الشعرالعربي قديمه وحديثه .. يعرف ذلك كل من تتلمذ عليه
(٥) واني لشـديد الاعتزاز ان اكون واحدا من هؤلاءالتلاميـذ .

البرقيـــات

تشارك وزارة الثقافـة والارشـاد القومي في تكريماستاذ الجيل عمر يحيى ، وتبعث اليه باعمق التحيات ومشاعر التقدير لما قدمه من جليل الاعمـال في الادبوالمعرفة اغنى بها ثقافتنا وتراثنا الفكري .
امد الله في عمره لتزداد امتنا نفعا بعلمه وفضله .

وزيرة الثقافة والارشاد القومي
الدكتورة نجاح العطار

الاستاذ منير بريخان محافظ حماة . .
تكريمكم الاستاذ عمر يحيى تكريم للخلق النبيـلوالشعر الاصيل .. ننحني امام عمر بجلال ، ونشكـر لكم وللمركز الثقافي ونقابـة المعلمين حفاوتكم بالمربـي الكبير والشاعر الامثل .

حلب ـ عبد الله يوركي حلاق
صاحب مجلة الضاد

الجمعيـة العربيـة المتحدة للآدابوالفنونبحلب تحييمدينة ابي الفداء مواطنين ومسؤولين لتكريمها ابنهـا البار الشاعر الكبير الاستاذ عمر يحيى راجية من مبدعالكون العظيم ان يمد الله في عمره ويمتعه باطيب الاوقات واسعدها . .

محمد سعيد السمان
رئيس الجمعية

قصيدة عمري

أتراها ترضي الوفـــا الحانـه ... بعـد انّ صـارع الزمـان كيانـه
صاغهـا قلبـه المتيـم بالفـــــنّ ، وسـدى نسيجهـا وجـدانـه
وسقاهـا مـن روح كـل أبـــي ... أريحي ، يـوري النفوس بيانـه
فغـدا يرسـل القـوافي وشيـا ... يتهـاداه تحفـة خلصانـه
ما شـدا العندليب شـدوي بالمغنـــى ، ولا قـدس الكفـاح لسانـه
أحمـل الوجـد في هـواه فتيـا ... وصدى الحزن من قصيدي هوانـه

★ ★

ان يعـم المشيب منـي فروعـي ... فاد كار الشباب هـذا أوانـه
نغرس الذكريات في العمـر كيمـا ... يتملـى بغرسـه جنانـه
حـين كنـا نعيش في دارة الحـــي ، وللحي ظالمـا خاقانـه
غايـة العلـم أن نقـر على الظلـــم ، ويرضى مـن نشئنـا ترطانـه
كادت الضـاد أن تفـوز ويـأبى ... موتهـا من جنى الابـاء لبانـه
كم شهيد ذكرى الطفولـة منـا ... نعرة الجـرح منـه أو عنفوانـه
يتغنـى بالمـوت أرجوحـة المجـد ، ويهتـز في الفضـا جثمانـه
وهوانـا الرفاف : تحيـا بـلادي ... هي « نعـم » لعاشق و « جنانـه »

★ ★

وليـالي آذار حـين ألاح التـــاج ، واهتز في الحمى صولجانـه

من ليالي السعود كانت ويروي ... خلجات الافراح منها جنانه
كنت طيفا ، ما زار حتى توارى ... فاستبدت بواله أحزانه
والندامى في غمرة الرزء ساهـ ... ـون ، حيارى ، كل له أشجانه
وكأني اذ غبت عني تناءى ... عن حياتي من الصبا ريعانه

★ ★

يا لها وقفة ترشح باللؤ ... م ، وينبي عن اللئيم ضمانه
نحن «عدنا» فلتسمعن صلاح الدي ... ن شبحا أزرت به أضغانه
حسب الغادر المدل بأنا ... نتفاداه ، ان غلا عدوانه
لم نهن للمغير يوما ، وكنا ... جبلا تعجز العدو رعانه
موطني موطن الميامين تشدو ... بهواهم سهوله ومتانه
كل ندب يلقى المنون بوجه ... باسم الثغر ، مرهب خطرانه
كبرياء الطماح تكسو حفافيـ ... ـه ، وغار استشهاده أرجوانه
لا مقام في ربعنا لعدو ... لا تبالي وقع الخطوب حسانه
تتبارى في ساحة المجد لحنا ... عبقريا ، علوية أوزانه
خولة أو تماضر تذمر الافـ ... ـلاذ والموت أحمر طيلسانه

★ ★

يا مطلا على اللواء أأنسى ... مربعا من ربا الخلود جنانه
مستمدا من الطبيعة ما شا ... ء جمالا تصبي النهى أفنانه
يتهاداه ، من عدو ودان ... أغتم القول ، ألكن تبيانه
وشبابا ما نام يوما على الضيـ ... ـم ، وان خام في اللقا ربانه
أين كانوا ، وابن الحسين يناجي ... ربة الشعر ، مرعدا شيطانه
أين كانوا ، وقرم حمدان تجري ... من نواحيك للوغى فرسانه
أنت مجلى الحياة للنازح المحـ ... ـزون ، عن عقر داره وأمانه

★ ★

أين مني مغنى أويت اليه ... أرشف العلم ، والزمان زمانه
أين مني الاقصى ودار صلاح الدي ... ن ، درسا : وأين مني مكانه
لا ليالي بعد أنس ليال ... أترعت كأسها ، ولا ندمانه
وسرت في ظلاله زوعة الخطـ ... ـب ونادت هزارها أوكانه

ستعودين يا فلسطين مهما ... أبرق السقط ، أو نما طغيانه
لا تراعي مهما تنمر باغ ... وتباهى بغدره ثعلبانه
الدماء التي تعمك يادا ... ر دماء ، تهوي لها أركانه
من طباع الحروب كر وفر ... لن تضيعي ، وفي الحمى عقبانه

★ ★

حين يشكو الحماة غيري فقلبي ... بحماتي يسمو به خفقانه
يا حماتي ، في البعد طيف خيالي ... كنت ، ما البحتري ؟ ما شقرانه
ان تكن علوة أضلت نهاه ... فقصارى محبها نسيانه
بلدي رفرف الجمال عليه ... فزهت روضه وطاب معانه
بلد غيم الابباء عليه ... فسمت روحه ، وعزت قنانه
بلد حطم العدا شهداه ... في ذراه ، يحدو بهم مهرجانه
يا حماتي طوفت آفاق عمري ... ولعاصيك من فؤادي حنانه
والنواعير دائبات ، تغنى ... أين منها « اسحق » أين قيانه

★ ★

شهد الله أنني لست أنسى ... لكم موقفا يطيب بيانه
أسلست للمحب فيه القوافي ... فتجلى عن سره اعلانه
ان يكرم أخوكم فبفضل ... أنتم رائدوه ، أنتم عيانه
قد أعدتم عهد العروبة في الشعر ، وطابت بالقول منكم دنانه
أنتم للقريض خير حماة ... لا يرعكم من أهوج هذيانه
يعرف السيف بالضريبة يلقا ... ها ، وينبي عن الصديق امتحانه
ان سمعتم عنادل الروض تشدو ... فصدى الحب شدوها وكمانه
رائع الفن خالد يتحلى ... بجلال ، يعلو بها فتيانه
الصريح الجميل يأخذ بالنفس فيوحي ما لا يرى ثنيانه

★ ★

هذه أيها الاحباء ذكرى ... رددتها مع الاسى أجفانه
ذاق حلو الحياة والمر حتى ... من تجاريبها ذوى بنيانه
غير ما قلبه المردد شكرا ... لو يضاهي جميلكم شكرانه

أثر التعليم والمكتبات والمطابع في الحركة الأدبية بالمملكة العربية السعودية

التعليم :

ان التعليم في الجزيرة العربية لم يكن تعليما بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة قبل قيام المملكة العربية السعودية ففي العهد العثماني كان التعليم باللغة التركية بما يتلاءم مع ظروف ذلك العهد .

اما التعليم بمعناه الحديث فلم يبدأ الا في العصر السعودي وهو وان تعثر في بداية قيام المملكة العربية السعودية الا انه نهض من كبوته وسار في ركاب العلم كما في بقية الاقطار العربية الاخرى .

واهم المعوقات التي اعترضت التعليم في بداية الحكم السعودي تتلخص في نقاط ثلاث :

ا ـ لم تكن هناك موارد مادية للملكة تمكنها القيام بأي مشروع غير موارد الحج التي لم تكن في حينها تسمن أو تغني من جوع .

ب ـ عدم توفر الهيئات التدريسية والادارية المؤهلة للقيام باعباء العمل التعليمي في البلاد .

جـ ـ واخيرا وجود العقليات المناهضة لكل جديد والتي لم تكن لتقنع بنظريات العلم الحديث والتقدم العصري للحضارة الانسانية .

وقد واجه الملك عبد العزيز هذه المشكلة حتى استطاع بفضل عقليته المتفتحة ومرونته المعهودة ان يوضح لتلك الفئات فائدة المدارس الحديثة التي تساعد على تفتح عقلية الجيل وتنور بصيرته مما يؤدي الى تقوية العقيدة الدينية في القلوب وبالتالي تنقل المملكة الى مصاف الدول المتحضرة .

ولم تمض سنتان فقط على قيام المملكة العربية السعودية ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٦ م حتى انشىء اكثر من اثنتي عشرة مدرسة لم يتجاوز عدد طلابها السبعمائة وخلال السنوات العشر التالية انشىء سبع وعشرون مدرسة في انحاء المملكة على الرغم من الظروف القاسية التي المحنا اليها .

وفي عام ١٣٦٣ هـ ـ ١٩٤٣ م افتتحت مدرسة « دار التوحيد » بالطائف لاول مرة بهيئة تدريسية تضم ثلاثة سعوديين والباقي من مصر وسورية واخذت تدرس التفسير والحديث والفقه الحنبلي والاصول والمصطلح والتوحيد والفرائض بالاضافة الى الحساب والنحو والصرف والبلاغة والتاريخ والادب والتجويد يتعلم فيها الطالب على مراحل وتمكنه من الانتقال الى كلية الشريعة بمكة التي افتتحت سنة ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٤٩ م ويدرس فيها اربع سنوات يتخرج بعدها ليصبح قاضيا او مفتيا او مدرسا .

ثم توالى بعد ذلك افتتاح المدارس في مختلف انحاء المملكة واهم ماافتتح في ذلك الحين مدرسة « تحضير البعثات » بمكة وذلك لاعداد افواج الشباب علميا وفنيا وليتمكنوا من الالتحاق بمختلف الكليات في جامعات اوروبا وامريكا وبيروت ومصر .

وبعد سنين قليلة عاد هؤلاء المبعوثون ليحلوا محل الاجانب والغرباء ويتسلموا اعلى المناصب في الدولة .

ثم انشئت مدرسة المعلمين الليلية في الرياض عام ١٩٥٠ م واحدث كذلك اول معهد علمي في العاصمة وكذلك اسست الادارة العامة للمعاهدالعلمية والكليات

وهكذا استطاعت خطة الادارة التعليمية ان تنجح وتحقق اغراضها وتقنع الناس بفائدة المدرسة العصرية فاقبل المواطنون بافواج ابنائهم الى المدارس لتلقي العلم من مناهلها وراحت الدولة تبث المدارس في كل حدب وصوب تلبية لرغبات المواطنين فالمال قد توفر والكوادر التعليمية قد نمت وهكذا انتصرت الحركة التعليمية ولم

تنته مهمتها الا عندما انشئت وزارة المعارف ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٣ م وبدات مهامها الضخمة تتزايد يوما بعد يوم ولتقدير مدى ضخامة المسؤولية الملقاة على عاتق وزارة المعارف نلقي نظرة على ارقام موازنة الوزارة التي لم تكن تتجاوز اثنى عشر مليون ريال في بداية عملها في حين انها تتجاوز اليوم ٨٠٠٩ مليون .

واصبحت مناهج وزارة المعارف تضاهي مناهج احدث الدول العربية وتلحت بالعلم والتخطيط باعلى المستويات فقسمت رقعة المملكة المترامية الاطراف الى احدى وعشرين منطقة تعليمية مستقلة ماديا واداريا .

وقسمت التعليم الى فروع : عام ، وفني ، وجامعي ـ في داخل البلاد وخارجها واعداد المعلمين وشعبي .

١ ـ فالتعليم العام : يبدا بمدارس الحضانة وينتهي بنيل الطالب الشهادة الثانوية .

٢ ـ والتعليم الفني : يشمل المدارس الصناعية والتجارية والزراعية .

٣ ـ والجامعي : ويتم في داخل البلاد وخارجها وقد توالى قيام الكليات وانشاء الجامعات منذ انشئت كلية الشريعة بمكة سنة ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٤٩ م وتاسست في الرياض الجامعة التي سميت عام ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧م بجامعة الرياض التي تضم كلية الآداب والعلوم والتجارة والزراعة والصيدلة والتربية والطب والهندسة ، ووجدت ايضا كليات الشرطة والحربية والقضاء العالي والشريعة واللغة العربية والتربية وجميعها في الرياض. والشريعة والدراسات الاسلامية والتربية بمكة المكرمة .

وجامعة البترول بالظهران .

والجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

وجامعة الملك عبد العزيز بجدة .

وجامعة الملك فيصل بالمنطقة الشرقية .

٤ ـ ومدارس إعداد المعلمين : التي تعمل لايجاد المعلم الكفء والاستغناء التدريجي عن المعلمين المتعاقدين

٥ ـ واما التعليم الشعبي : فهو يتضمن مدارس مكافحة الامية لدى كبار السن في مدة يتبعها السن لا تتجاوز السنتين والامر على محو الامية خلال السنوات القادمة . ويشترك حاليا واحد من كل سبعة افراد في برنامج تعليمي منظم ، وتسعى المملكة الى تحقيق تعليم ابتدائي شامل واتاحة فرصة الاستمرار في التعليم الثانوي والجامعي هذه الانطلاقة التعليمية خلقت اجيالا من المثقفين والادباء والشعراء الذين راحوا يغمسون اقلامهم في مداد قرائحهم ويصوغون ادبا يحمل سمات المرحلة الحالية التي يعيشونها ويتم بتطلعات شعب نحو المستقبل الكريم ويصور آماله في رؤى تتناسب مع البناء الروحي والفكري لكل منهم من خلال الموقع الذي حدده لنفسه من هذه الحياة .

المكتبات :

لقد عرفت المدينتان المقدستان مكة المكرمة والمدينة المنورة المكتبة في القرن السادس الهجري حين امر ملك اليمن نور الدين بن صلاح الدين الرسولي ٥٩٤ هـ ـ ١١٩٧ م بانشاء رباط بمكة اوقف فيه كتبا كثيرة منها « المجمل لابن فارس » و « الاستيعاب لابن عبد البر » ثم راحت الكتب تتزايد في مكتباتها حتى اليوم .

ثم تتابع ذلك اقامة المكتبات في هاتين المدينتين حتى عد صاحب «مرآة الحرمين» ثماني عشرة مكتبة في المدينة المنورة في اوائل القرن الرابع عشر الهجري ـ العشرين الميلادي ولعل افضل مكتبة فيها هي مكتبة « عارف حكمت » التي بلغت مخطوطاتها اربعة آلاف وخمسمائة مخطوط ومطبوعاتها الفين وجميعها من الكتب النادرة .

اما فيما عدا هاتين المدينتين فلا نجد اثرا للمكتبة قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في اية رقعة من انحاء الجزيرة العربية .

الا ان المكتبة بمفهومها العصري الحديث فلم تعرف في الجزيرة العربية الا بعد قيام المملكة العربية السعودية وقد اهتمت وزارة الحج والاوقاف بعد انشائها بشؤون تنظيم المكتبات فجمعت الكتب في مكتبتي الحرم بمكة المكرمة والمدينة المنورة وجردت محتوياتهما وثبتتها في سجلات رسمية وفرغت لها الموظفين والمختصين للعناية بها .

ونبتت بذرة المكتبة في نجد في بيوت الامراء فقد

تجمع في مكتبة المفتي محمد بن ابراهيم وغيره اعداد كبيرة من الكتب وانشأ الامير مساعد بن عبد الرحمن اخو الملك عبدالعزيز اول مكتبة عامة بالعاصمة سنة ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٣ م وخصص لها جناحا للمطالعة مستقلا في قصره واباح لكل راغب بالاستزادة من علمها وبذلك خطا الامير مساعد الخطوة الاولى في انشاء المكتبات العامة في المملكة العربية السعودية كلها .

ثم توالى بعد ذلك اقامة المكتبات الخاصة والعامة « كالمكتبة السعودية » بالرياض ومكتبة امانة مدينة الرياض بحي « الملز » حيث نقلت مقتنياتها الى دار الكتب الوطنية عام ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ بعد ان اخذت جامعة الرياض مبانيها . .

وتعتبر دار الكتب الوطنية من احدث المكتبات في المملكة حيث روعيت في انشائها الشروط التي يجب ان تتوفر في المكتبة الحديثة منذ لحظة افتتاحها سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

ثم اخذت وزارة المعارف تنشىء المكتبات في اكثر انحاء البلاد واصقاعها المترامية وهناك مكتبات خاصة لكل كلية من كليات جامعات المملكة على مختلف انواعها بالاضافة الى المخابر اللغوية والعلمية على اختلاف مناحيها مزودة باحدث الالات وطرق الايضاح والتعليم .

وهناك مكتبة بالظهران وهي منظمة على احدث طرق المكتبات ويديرها مهرة في ميدان المكتبات وعرض الافلام العلمية وصور المخطوطات والالات المصورة والقارئة المتوفرة كلها فيها وبكثرة .

وهكذا نستنتج مما تقدم ان المكتبة عريقة الوجود في البلاد العربية السعودية وقد تطورت هذه المكتبة مع الزمن منسجمة مع عقلية ابنائها في كل عصر وزمن ومن الملاحظ حاليا ان المكتبات في المملكة العربية السعودية تتبع ادارات مختلفة .

آ - فمنها ما يعود الى وزارة الاوقاف والحج كمكتبة الحرم ومكتبات المدينة المنورة .

ب - ومنها ما يتبع وزارة المعارف كمكتبة دار الكتب الوطنية بالرياض ومكتبات الاقاليم الاخرى كمكتبة بريده وعنيزه والدمام وغيرها .

جـ - ومنها ما يتبع دار الافتاء كالمكتبة السعودية بالرياض .

د - ومنها ما يتبع شركة الزيت بالظهران .

هـ - ومنها ما يتبع لادارة الجامعات والكليات كل حسب اختصاصها .

و - وهنالك المكتبات الوزارية الحكومية وتقول حكومية لانها ليست مفتوحة لسائر المواطنين وليست ملكا لفرد معين ومن ابرزها مكتبة مركز الابحاث والتنمية الصناعية ومكتبة معهد الادارة العامة بالرياض .

ز - وهنالك ايضا المكتبات المدرسية صغيرة كانت او كبيرة حسب حاجة المدرسة .

ح - وهنالك المكتبات الفردية الخاصة وهي كثيرة جدا ويصعب حصرها .

وهنالك ايضا مراكز وثائقية وتقوم المكتبات باصدار مطبوعات وفهارس معظمها باللغة العربية وبعضها باللغة الانكليزية .

ومهما يكن من دوافع انشاء المكتبات العامة والخاصة فلا بد من الاعتراف بفضلها في تثقيف الناس على مر العصور ورفع مستوياتهم الفكرية والادبية اما وقد اخذت الدولة على عاتقها فتح ابواب العلم والمعرفة على مصراعيه امام جماهير الشعب فانها بذلك تدفع المجتمع في طريق الثور والحضارة والارتقاء وقد انعكس هذا على افكار الجيل السعودي من الشباب والشابات الذين نطالع انتاجهم كل يوم من فكر وادب وشعر رقيق اصيل ويكفي ان نلقي نظرة على المطبوعات الجديدة للشباب السعوديين لنعرف مدى تاثير المكتبة والثقافة على هذا الجيل الجديد الذي راح يعوج بالخصب والعطاء ويفجر فيض الحركة الادبية على ارض المملكة العربية السعودية بادب جاد رصين يحمل متانة الخلق وصلابة الايمان وطهارة الروح والنفس بفضل التربية الدينية الاصيلة بعيدا عن الترف .

● اثر التعليم والمكتبات والمطابع في الحركة الادبية ●

وراج الكتاب السعودي بشتى طريقه وسط الاسواق العربية والمحلية بين البيل الجارف من المطبوعات ليأخذ مكانه اللائق في رفوف المكتبات المختلفة سواء في داخل المملكة العربية السعودية او في خارجها وتعمل الدولة جادة على تأمين طباعة محلية تسهل على الادباء الشباب نشر انتاجهم ، كما تقوم وزارة الاعلام بتشجيع المؤلفين السعوديين عن طريق شراء نسخ من مؤلفاتهم والقيام بتوزيعها داخليا وخارجيا ، كما ترعى حركة التأليف والنشر بمختلف وسائل الرعاية سعيا وراء ابراز الفكر السعودي ، ودعم الانتاج الادبي اللائق بالمستوى الذي وصلت اليه المملكة العربية السعودية في كافة المجالات .

الطباعة :

تأخر ظهور الطباعة في الجزيرة العربية حتى اوائل الربع الاخير من القرن التاسع عشر حين استحضرت الحكومة العثمانية مطبعة تدار بالقدم وذلك سنة ١٣٠٠ هـ ـ ١٨٨٢ م .

ثم استحضرت بعد ذلك مطبعة متوسطة وبعد عدة سنوات جلبت مطبعة حجرية سمتها « المطبعة الاميرية » وفيها كانت تطبع جريدة « الحجاز » المكية وفي اثناء الحرب العالمية الاولى صادر الاتراك «مطبعة رحلة الفتاة» ونقلوها الى الحجاز لتدعم المطبعة الاميرية .

وفي سنة ١٩١٩ م اسس الشريف حسين مطبعة صغيرة في مكة لطبع جريدة القبلة ، وحين استتب الامر للملك عبد العزيز آل سعود اطلق على هذه المطبعة اسم « مطبعة ام القرى » واستحضر لها عددا من الخبراء العرب سنة ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧ م وعقد معهم اتفاقا لتعليم بعض الحجازيين هذا الفن .

وكانت الخطوة الثانية للملك عبد العزيز حينما ارسل سنة ١٩٣٧ م بعثة عشر شخصا الى مصر ليتدربوا على الطباعة في مطبعة بولاق .

ثم بدات الحكومة السعودية تدخل تحسينات على هذه المطبعة حتى اصبحت تساير ارقى المطابع وقد اصدرت قرارا بتبديل اسمها من مطبعة « ام القرى » الى « مطبعة الحكومة » وبدات تهتم بالمطبوعات الحكومية الرسمية ومجلة الحج والتقويم السنوي والانظمة والتعليمات وجريدة « ام القرى » . ثم تلا ذلك انشاء الشركة العربية للطبع والنشر بمكة حيث اخذت على عاتقها طباعة جريدة « البلاد السعودية » وكافة المطبوعات التجارية ومن ثم طباعة « مجلة المنهل » وذلك سنة ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٥ م .

وفي سنة ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٦ م تم انشاء مطبعة جريدة المدينة المنورة وهي مطبعة اهلية يتم فيها طبع الجريدة بالاضافة الى المطبوعات والاوراق الحكومية ثم توالى بعد ذلك انشاء المطابع في جدة حيث انشئت مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر وهي مطبعة حديثة بكل امكانياتها وعمالها المؤهلين وبدات عملها سنة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢ م واستطاعت ان تطبع كافة الاوراق والمطبوعات التجارية والحكومية ومجلات الاذاعة والحج والاضواء ثم المنهل وجريدة الرياض المصورة وجهزت بآلات جمع الورق المعروفة بالليونيت ثم جاء بعد ذلك انشاء المطابع في الرياض سنة ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤ م وتوالى انتشار المطابع في المملكة العربية السعودية التي نشطت الحركة الادبية بما قدمته من تسهيلات يومية لطبع الصحف اليومية والاسبوعية ونصف الاسبوعية والمجلات المتعددة والتي تحتاج الى ادباء يدبجون لها المقالات الاجتماعية والادبية والسياسية والدينية والعلمية والقصائد الشعرية والقصص المسلسلة وما الى ذلك من النشاط الفكري الذي خلق طبقة من الكتاب وبالتالي ترتب وجود حركة نقدية لتعزيز هذا الانتاج الغزير الذي راح يحتل مساحات على رفوف المكتبة العربية السعودية يوما بعد يوم .

ان المطبعة السعودية ساعدت على طباعة ونشر الانتاج الادبي الوطني وانشاء المعرفة واذاعة الثقافة واعطاء صورة صادقة عن نهضة البلاد الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية التي تبقى المحور الذي ترتكز عليه اخلاقية الانتاج الفكري السعودي فاطبة .

هذا وان الحكومة العربية السعودية ساهرة على دفع حركة الطباعة في المملكة الى الامام وسنت لها القوانين والانظمة التي تنظم شؤونها وتكفل سير عملها وتسهر على تقدمها ولم تغفل عن مراقبة ما يتم طبعه فيها لتظل هذه المطابع ضمن المخطط الرسمي الذي خطته لها .

إلى الشاعر عمر بحيري

إنور الجندي

غنيتنـــي ، فأفاق الليـل : والوتـــر ... والذكريات ، وعمـر كلـه ضجـر

نحن العطـاش الـى خمر معتقـــــة ... والراح راحـك ، فاسـق الروح يا عمر

يا مبدع الشعر : هذا الشعـر تلفحـه ... مـن العلوج رياح لفهـا الخطـر

وأنت تعلـم : والايـام عالمـــــة ... أن الاناشيـد تحلو ، وهـي تستعـر

وليس يخلـــد لغـو تافـه أبـــدا ... وانمـا هـو منبـــوذ ، ومحتقـــر

هيهـــات ، هيهـات ، أن يعلو لهم علم ... ونحن ، نحن حماة الشعر ، لو شعـروا

أبا طريف ، اليـك اليـوم أغنيـــة ... مـن شاعـر دمـه الاشواق ، والسهر

قـد كـان يحلم ، أن يلقـاك ثانيـة ... حتـى يضمـك من ألحانـه ... الزهر

سلمية ـ انور الجندي

عُمر.. بنا.. يَحيا

محمد منذر لطفي

● مهداة الى شاعر « حماة » واديبها الكبير المربي القدير الاستاذ « عمر يحيى » تحية محبة وتقدير ووفاء .. بمناسبة المهرجان التكريمي الذي اقامته له مدينة ابي الفداء مساء ٨-١٢ -١٩٧٧ في صالة نقابة المعلمين .. اعترافا منها بشعره وادبه وعلمه وايادية البيضاء عليها .

-١-

كرمان.. خمرهما حلال كرم القوافي.. والخصال
هذا يسلسل راحه سحرا.. وذايهب الكمال
قد كان في وادي حماة وفي الذرا ليل أطال
حتى بدا « عمر » فاشرق في دجاها كالهلال
يا شاعرا نفح الخلود بكل عذراء الجمال
ما أنت الا الروض مد على مغانينا الظلال
غررا .. على انغامها غنى الصبا طربا ومال
تزهو كما شاءت لها انسام « عبقر » والخيال
فكانها .. والحسن ابدعها.. الجواهر واللآل
أكبرتها.. أكبرت فنك.. فهو بحر لا يطال

●

-٢-

يا شاغرا زحم الشموس بجانحيه .. وما يزال
لك في النضال مواقف غراء .. خلدها النضال
أمسيت في الليل السنا وغدوت في الساح النصال
كنت المعلم .. والمربي .. والاب الحسن الفعال
وابحت علمك للعطاش .. وكنت برا بالعيال
وأثرت للركب الدروب.. ورحت تهزأ بالمحال
أرخصت في سبل المعالي كل مرتخص.. وغال
وأذبت في صمت شموع العمر.. واخترت الظلال
أسريت بالاجيال من حال مضيعة .. لحال
ومضيت تنثر من كنانتك الصباح على الليال
جاهدت فيهم باليراع .. فكنت أصدقهم مقال
ونفحتهم روح الكفاح.. وكنت في الجلى المثال
علمتهم أن الحياة مواقف تأبى الجدال
لا يسلم الوطن الكريم اذا تغيبت الرجال

●

ـ ٣ ـ

يا شاعري ماذا أقول ؟ وحار في شفتي السؤال
عندي الكثير من الذي عانيت من قيل وقال
حولي من الحساد ألوان يريشون النبال
حاكوا مكائدهم .. فكانوا السم ينفثه الصلال
اني لارحمهم على ما بيتوه من الفعال
أعطوا لانفسهم حقوق «الاسد» والباقي السخال
« البعض » أفرغ حقده ما كل معلوم يقال
قد كنت أغبطهم لو أن سيوفهم صنو القتال
أكبرت شعري أن يكون قطوفه سهل المنال
أطعمته شهد الهوى وسقيته خمر الوصال
وصقلته زمنا .. فأصبح فارسا يهوى النزال
ومضى يذر السحر دفقا باليمين .. وبالشمال
هذا أنا .. من بحرك الطامي .. تصيدت اللآل
آنست نارك في الدجى، فشددت والقوم الرحال
أسرى براق الشعر بي ليلا .. وبي ظمأ الرمال
خلفت وادي غير ذي زرع .. وعانقت التلال
حتى اذا لاح الضياء .. وراح يكشفه الذبال
يممته . فوجدته أصفى من الماء الزلال
فقبست جمر الشعر منه شذى لربات الحجال
قد رحت التمس القليل فعدت بالغرر الطوال
هي بعض ماغرست يداك نمت وماجت بالغلال
خذها .. كانفاس الصبا عذراء ما خطرت ببال
وكما أراد لها البيان « عروس » هذا الاحتفال
خذها .. فمنك .. اليك ارفعها .. فياحسن المآل
« عمر » بنا « يحيا » . ونحن به . فنحن على اتصال

●

ـ ٤ ـ

يا شاعري .. يا صاحب الكرم الذي اغنى السلال
لك سيرة بيضاء ترفل بالوضاءة والجلال
أزرى بنا شعر « البغاث » وراح يورثنا الهزال
من بعدما زحم « النسور » بشعرهم قمم الجبال
أين الذين بيانهم أشهى من السحر الحلال .. ؟
قد خلدته أصالة الفصحى .. وأسرار الجمال
زعموا «الجديد» تحللا ومشوا وراء «أبي رغال»
ملاحهم ضل الطريق .. وجاء بالداء العضال
قد راح يستسقي السراب وراح يستجدي الرمال
ضاق «الجديد» به هجينا .. يملأ الفصحى خبال
ليس «الجديد» فتات قوم .. اوطلاسم .. أوعقال
ان «الجديد» مواقف وأصالة تأبى الضلال

●

ـ ٥ ـ

يا شاعري .. والعمر طيف زائر .. والدهر آل
تمضي الحياة بحالتيها .. والجميع الى زوال
مر الانام بها كما مر الخيال على الخيال
ولأنت أنت البدر في ليل السراة .. وما تزال
يمضي الزمان .. ومجدشعرك لن يغيب ولن يطال

محمد منذر لطفي

تصوّف الشعر

محمد حسن منجد

لا يا براعم آمالي فديت هـــوى ... لا تذبلي فهو في جنبي مستعـــر
تفتحي ... نوري أغصان دوحته ... حتى يعطر جو الدوحـة الزهـر
هذي المواسم من وزن وقافيـــة ... راحت تصلي على انغامها العصـر
تصوف الشعر في محرابها ومضى ... يهتز من طرب اما شـدا عمـر
فللضفاف رئـات من تنهـــده ... وللنواعير من قيثـاره وتـــر
وللطيور تسابيـــح مرتلـــة ... وللازاهـــر بـوح مسـكر عطر
ولليمنابـر يوم الروع زمزمة ... تتلى بحرمتها الآيات والسـور

★ ★

يا رائد الجيل هب لي منك مغفرة ... ان لم يكرمك من أهل الحمى نفر
هم من عرفت لهم في الشعر مملكة ... هم النبيون ان أهل الورى كفروا

★ ★

حسبي أذوب العاني على كبـــدي ... ومن بقايا كـروم العمر اعتصر
لولا الحياء لما امسكت قافيتي ... فليس في أضلعي خوف ولا حـذر
لكنني رغم ما في الصمت من حكم ... والصمت أبلغ في آذان من وقروا
أقولها ورحى الايام تطحنـنـــي ... لا يعتريني بها ضعف ولا خـــور
ما نخ الا تباشير الصباح علـــى ... أضوائنا يولد الايمان والظفـر

ألفيت كل عظيم الشان متجـــرا ... بشأنه فهو في عيني محتقـــــر
خل العتاب فقد شط الغرور بهـم ... ان الفراش على الاضواء ينتحـر
ونفض الوهم عن عيني ان يـدي ... مشلولة وجناحي اليوم منكسـر
كأنني وسيول اليأس تجرفنـــي ... شلو يسلمه للقـــاع منحـدر
أجارني الدمع يوما فاستجرت بـه ... وخانني يوم اعشى ناظري القدر
فرحت أحرق دمعي من جحيم غد ... ما زلت أسأله بـردا وأنتظـــر

★ ★

يا قائد الركب ألحان الفدا عجب ... من عبقر الشعر لا زيف ولا أشر
ما للقريض غـدا يهذي به نفر ... ممن أضاعوه حتى كاد ينحسـر
عابوا الاصالة فينا فانتضوا قلما ... تضج من نتنه الالفـاظ والصور
وأوغلوا في غموض الرمز فاحترقوا ... بمارج من بروج الشمس ينفجـر
خطوا على الشاطىء الرملي نهجهم ... فان طغى الموج لم يثبت لهم أثر
والمرجفون تباروا في دوائرهم ... حتى اذا لفهـم اعصارنـا قبروا
وقام فوقهم العفريت منتصبـــا ... يمناه بالشمس واليسرى بها القمر
ففي المجرة اصداء مجلجلـــــة ... تحيي الاصيل وفي سمتيه تبتكـر

★ ★

يا حادي المجد أوتاري مقطعـــة ... أتت عليها رياح الدهر والغـير
لم تبق مني سوى ظل تؤرجحـه ... أشعة الضوء في فودي تنكســر
ثم استدارت على قلبي فشاب هوى ... يدمي حناياه ظل الهدب والحـور
وفارع بترت ساقاه يسألنـــي ... متى اسير ؟ وتسري في دمي ابـر
فأعطني الصبر والصمت اللذين هما ... سرا سموك في دنيـاك يا عمـر

★ ★

يا بلبل الدوح حسبي منك اغنية ... يعود لحن الهوى والعمر يزدهر
أسر لي شاطىء الماضي هواك بمن ... أضناك في حبها التسهيد والسهر
فرحت تملأ أكواب الهوى غررا ... وكنت تحرص ألا ينشر الخبـر
لكنه الشعر يا للشعر كم كشفـت ... آهاته ألف سـر كان يستتـر

★ ★

أستغفر الله ٠٠ لا صبري بمنقطع ... ولا سكوتي ظمآن ولا بطـــر

لكن سمعت بجوف الليل حشرجة ... كأن مجد بلادي اليوم يحتضر
دب الخنوع فلم اسكت وفي وطني ... جحر الصلال ووغد خائن قذر
مضى الى الخصم محمولا على سرر ... من الخيانة في تشرين يتجر
صكت مسامعه أصداء مؤتمر ... فراح يلهث للاقصى ويأتمر
أراحه صوت « دايان » يذكره ... عار الهزيمة اذ وافاه يعتذر
عوى عليه وما ينفك رجع صدى ... في مسمعيه وفي أشداقه حجر
لكن كافور هذا العصر ألقمه ... « سينا » وعاد يلف الذيل يفتخر
وحوله من عبيد الحكم شرذمة ... يهللون وقلب العرب ينفطر
وصافحت عينه الاقصى وصافحه ... « دايان » يشحذ سكينا وينتظر
كانا على موعد سرعان ما اقتربت ... عقارب الوعد لما مسه الذعر
هون عليك فهذي حال أمتنا ... حكم يخون وشعب عظمه نخر
باعوا فلسطين باعوها بلا ثمن ... باعوا الدماء وفي اثمانها سكروا
من ذا يرد لوادي النيل عزته ... هل ينتخي خالد او ينبري عمر
اني سمعت بأرض الشام زمجرة ... الله أكبر جند الحق قد نفروا
بوركت يا شام يا مهد النضال على ... صخر التحدي سيقضي البغي يندحر

★ ★

أبا طريف وكم لبيت مندفعا ... هذا النداء وكم أوعزت فأتمروا
حسب المجالس ان آراؤها اختلفت ... في معضل الامر رأي منك مبتكر
براعم الامس أفذاذ عباقرة ... على خطاك مشوا فانهارت الجدر
يروون للدهر عنك اليوم ملحمة ... هام القريض بها فانسابت الصور
قلدتها من كنوز الدر خالدة ... يبلى الزمان ولا تبلى لها أطر
لئن تهدج فيها الصوت أرعده ... مزمجر في الضمير الحر مقتدر
لم ينصفوك فهل في الدار مستمع ... لما نقول وهي في الحي مدكر

★ ★

ياواهب الجيل أوتار القريض على ... أنغامك البكر ماصاغوا وماضفروا
هذي الاساطير آيات البيان على ... لألائها يخطر الالهام والفكر
وذا عكاظ أقاموه على قدر ... فراح يسكر من انخابه القدر
وأنت فيهم امام الشعر لا عجب ... ان كرموك فقد وفوا بما نذروا

حماه : محمد حسن منجد

الدولة السعودية الأولى

٣

في جنوب غرب الجزيرة

محمد بن أحمد العقيلي

في سنة ١٢١٩ هـ صدر الامر لعبد الوهاب بغزو (جدة) فأمر بدوره منصورا وعرارا بالغزو معه فتباطأ عرار ثم بعث بالغزو مع اخيه الذي لم يدرك عبد الوهاب الا في بلدة الليث مما اثار غضب عبد الوهاب عليه وجعله يؤنبه امام الناس ويأخذ خيله وسلاحه ادبا له ، ثم اعاده عليهم برجاء ان يكون له حكمه فيه بعد القتال فنزل في السعدية وكان من انتصاره على امير مكة الشريف غالب.وغنيمته لاسلحته ومعداته ما هو معروف وبعودته الى عسير اخذ خيل وسلاح بني شعبة الذي اعاده لهم بالرجاء وبطبيعة الحال لولا توتر الحالة بينه وبين (عرار) لكان كما قيل (في المعاذير مندوحة) ففضب عرار واستغل الحالة حمود ، فزادها وقودا ، فوصل عرار اليه في ابي عريش وعاهده على المعاونة والمؤازرة ضد عبد الوهاب ، وعاد عرار فاتصل بقبائل رجال المع وهم ايضا قد اغضبهم عبد الوهاب فاستمالهم للثورة معه ضده ركونا منه على ما وعده حمود من العون ، وكانت خطتهما ان يثور عرار ضد عبد الوهاب ويرفع للامام سعود بتظلماته ، ويصمد امام عبد الوهاب وقوته حتى يصل وفد من الامام ، وينظر في الامر وتكون النهاية كما تصوراها فصله عن عبد الوهاب ، ويكون وضع حمود بدلك ـ في نظره ـ منطقة حياد بينه وبين عبد الوهاب .

بدا العصيان في رجال المع فقضى عليه بسرعة ونزل الى بني شعبة بعشرة آلاف مقاتل ففر عرار الى حمود فرحب به ، وتقدم عبد الوهاب الى قبائل الشقيق وعتود فأدبهم ، وهم بمهاجمة (حمود) الذي قد استعد لقتاله ، فوصلت لجنة من الدرعية قوامها ثلاثة اشخاص فسلمت أمرا لعبد الوهاب يقضي بتربيع المقاتلين حالا وتوجهه الى الدرعية فنفذ الامر في الحال ، وتوجهت اللجنة الى ابي عريش فسلمت حمودا امرا يقضي بترحيل عرار الى الدرعية وتوجه عن نهوضه بنفسه بما قد يترتب من خلل في تهامة اليمن . فأي وازع ديني وسلطة روحية عليا وقوة ادبية تدعن لها الرقاب بمثل تلك السرعة والامتثال ؟! جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل يؤمر قائده وهو في نشوة انتصاره بتربيع جنده فيحنو للحق هامته ، ويرحه وهو لم يطو الرسالة بعد ، ثم تصل اللجنة الى (حمود) وهو في عاصمته ومقر حكمه وقد حصنها بكل وسائل الدفاع المعروفة آنذاك ، ولديه ما لا يقل عن عدد جيش عبد الوهاب فينحني ممتثلا طائعا وينفذ الامر ويرحل عرار ويبعث فلذة كبده ووحيده ، ويعلن للوفد بأنه مستعد لكل ما يترتب عليه !!. انها قوة الاسلام التي اعادت للتوحيد سلطانه على النفوس والتي امتثل لها خالد بن الوليد حين تسلم امر عزله في عنفوان المعركة .

وصل عبد الوهاب الى الدرعية كما وصل عرار واحمد بن حمود وحسن بن خالد وتحاكموا عند الامام سعود وابرز عبد الوهاب رسائل من حمود **تثبت تدخله مع عرار وانتهت القضية** ببقاء عرار في الدرعية موسعا عليه في المسكن والرزق ، وضم امارته الى منطقة عبد الوهاب ، وتقييد حمود بأوامر تضمن الاشراف على التصرفات التي ليست من حقه ومنها :

ا ـ بعث موظفين للاشراف على الشؤون المالية .

ب ـ ان لا يعقد صلحا ولا يعلن حربا الا بأمر الامام سعود او ما في معنى هذا .

ج ـ عدم استخدام قبائل همدان الا بعد دخولهم فيما دخل فيه المسلمون وان يجيبوا داعي الجهاد .

فقبل الوفد نيابة عن حمود جميع ذلك وعاد معه الموظفون والعمال ، وبوصولهم نفذ حمود كل ما امر به وكتب الموظفون والعمال بمباشرتهم لاعمالهم وفي اثناء ذلك وصل مشائخ بلدة حجة وجبالهامستجيبين للدعوة، معلنين الدخول في الطاعة فبعث معهم حمود اميرا ومرشدين .

كل ما جرى ولم يمض الا نحو السنة على تولي سعود الامر والحق انه سعود الكبير كما لقبه التاريخ وفي تلك الفترة القصيرة بلغت الدولة الفتية اوج عنفوانها فعلاوة على شمول سلطانها للخليج العربي والحجاز ما عدا المدينتين المقدستين وهما حينئذ على وشك التسليم وحدود الدولة التي تمتد منوادي العراق والشام الى ضواحي مدينة زبيد في الجنوب كانت هناك تطلعات بحرية ـلم تظفربعناية المؤرخين ـ تتجلى في وصول اسطول سعودي الى ميناء (عدن) بقيادة قائد بحري يسمى (الجوشمي) في سنة ١٢١٩ هـ ـ ١٨٠٤ م بعد ابرام اول معاهدة بين سلطان لحج احمد عبد الكريم الفضلي ، والسر هوم بوفهام وقد منحت بموجبها الحكومة البريطانية قطعة ارض في غربي مدينة عدن والسماح للرعايا البريطانيين بحق دخول عدن ، وان تكون ميناؤها مفتوحة امام البضائع البريطانية وان يكون لها مقيم بريطاني يرعى مصالحها . وهي التي مهدت السبيل لاستعمار عدن قبل احتلالها بـ ٣٧ سنة ، وانما يبدو ان السلطان لم يحسن الاستفادة والتصرف فبدلا من ان يتعاون مع قائد الاسطول تعاون مع الانكليز تعاونا غير مباشر برجاله من قائد الاسطول مغادرة الميناء .

ولقد اشرنا آنفا الى دخول (الحجاز) في الطاعة ما عدا المدينتين المقدستين ، ففي سنة ١٢٢٠ صدرت الاوامر الى عبد الوهاب وعثمان المضايفي وابنشكبان وغيرهم بالتقدم نحو (مكة المكرمة) : لان (المدينة المنورة) قد استسلمت في اول هذه السنة ، وبتقدم اولئك القادة اشتد الضيق على غالب بن مساعد امير مكة فجنح للاستسلام الا انه عز عليه ان يكون عن طريق عثمان المضايفي خادمه بالامس فكتب الى عبد الوهاب بن عامر الذي هو معسكر في الميقات : (انه قد دارت المباحثة فيما بيني وبين الشيخ عبد الرحمن ابن نامي الموجود في مخيم عثمان المضايفي ، ولكني لا اريد ان تكون لعثمان مشاركة في الامر ، وانما اريد ان تكون بحضورك مع الشيخ عبد الرحمن ثم ترفعان لسعود) وتم الاتفاق على دخوله في الطاعة وحج عبد الوهاب وعثمان وبقية القادة ، واجتمع عبد الوهاب بغالب ، وكان مما دار البحث حوله موضوع اليمن ، فاظهر غالب رغبته في تقديم عمل للعهد الجديد يزيد في رصيد عبد الوهاب على رصيد عثمان وقال لعبد الوهاب : ان بيني وبين عامل الحديدة (صالح ابن يحيى العلفي) صلة صداقة ومكاتبة وفي وسعي اقناعه بالانتماء الى الدعوة فسر عبد الوهاب وفعلا بعث غالب الى صالح رسالة مع وفد مؤلف من العلامة الشيخ زين العابدين جمل الليل عالم المدينة المنورة والعلامة الشيخ بدر الدين الكوراني .

وذكر له في الرسالة بانه قد دخل في طاعة سعود بعد حروب استمرت خمس عشرة سنة لانه راى ان لا فائدة ترجى من وراء مقاومة عقيمة ، ثم عرض عليه الاتصال بعبد الوهاب الذي هو مستعد لاجابته الى كل ما يطلب من تعهد لبقائه في امارة منطقته ، وانه قد حمل وفده التفصيلات الوافية .

كان صالح في موقف لا يحسد عليه مع امام صنعاء ووزيره فقد اساءآ به الظنوشك الوزير فيبعضتصرفاته المالية ، وطلبه للحضور الى صنعاء فوصلته رسالة سرية من صديق له في مكتب الوزير ينصحه بعدم الوصول ، وان الوزير عازم على مصادرته وسجنه ، ومن الناحية الاخرى فقد مضى عليه عامان وهو في قتال مع القوات السعودية التي يقودها حمود ، فكتب لغالب ما يفهم منه الموافقة ، فاخبر غالب عبدالوهاب ، فارسل عبد الوهاب رسالة سرية الى صالح يتعهد له ان اجاب ان يظل اميرا على منطقتي (الحديدة)و(زبيد) خرج صالح من الحديدة الى بيت الفقيه بحجةاصلاح بعض الامور ، ومنها كتب الى عبد الوهاب بالموافقة وطلب الامدادات لاخذ مدينة الحديدة ثم مدينة زبيد فوصله الجواب بانه قد كتب لرجال الامام سعود في مدينة اللحية بالتوجه اليه وان القوات في طريقها

نحوه .

اعلان صالح بن يحيى الدخول في الطاعة :

وصلت قوات سعودية الى صالح في بيت الفقيه فاعلن انضمامه الى الامام سعود ، وبدلا من ان يقودها الى الحديدة سار بها الى زبيد ودخل المدينة عنوة وكان عاملها قد تحصن هو وخيرة جنوده في القلعة وتمكن من مضايقة من في المدينة ، فاضطر صالح الى الانسحاب الى قرية التحيتا ثم ابقى فيها قوة وانسحب ببقية جيشه عائدا الى بيت الفقيه . وذلك في سنة ١٢٢٠.

كان حمود من اول سنة ١٢١٨ وهو في قتال مع صالح تارة له واخرى عليه ، وانما في الغالب ـ كانت كفة حمود الراجحة ، وقد اشرنا الى تقدمه بالقوات السعودية الى التحيتا وانما في المدة الاخيرة استطاع صالح ان يسترد بيت الفقيه وبعض الجهات ، وقد دخل صالح ـ الآن ـ في الطاعة فتبدل امره بالنسبة الى حمود من عدو الى منافس ، وشعر بخطر هذا المنافس الذي يعتقد ان عبد الوهاب اوجده لمضايقته ، وها هي مدينة الحديدة عروس احلامه قد ادخلها عبد الوهاب في عهد صالح ، فكيف يوفق بين الطاعة ومصلحته الخاصة او بالاصح مطامحه الشخصية ؟! لندع التفسير للاحداث التي ستغني عن الاستنتاجات.

وصلت الامدادات لعامل زبيد فاضطرت القوة الصغيرة التي في التحيتا الى الانسحاب الى بيت الفقيه واستعاد العامل ولاء اكثر اهل بادية زبيد الذين انضموا الى صالح ، فرفع الى عبد الوهاب يستمده وعبد الوهاب مشغول بغزو نجران فلم يتمكن في ذلك الوقت من مده بالقوات ، وعلم حمود بتحرج موقف صالح فبعث بجيش لحصار مدينة الحديدة فاثار بذلك استياء المراقبين السعوديين الذين عنده ، لعلمهم انها داخلة في عهد صالح فصارحوه باستنكارهم فقال لهم : المسلمون يد على من سواهم ، وصالح وانا كلنا خدام لسعود : رفع صالح لعبد الوهاب بتقدم حمود على حصار الحديدة ، مذكرا اياه بانه قد ادخلها في عهده فارسل عبد الوهاب تلثمائة مقاتل على جناح السرعة بطريق البحر ليدخلها ولو بصورة خفية الى الحديدة ليعينوا انصاره والموالين له فيها على احداث ثورة على خصومه من بعض رجال الحامية، فعاكستهم الرياح واضطروا الى النزول في ميناء اللحية ، فابقاهم عاملها وكتب الى حمود فأمره بأن يهيء لهم الركائب التي تقلهم ويأمر الدليل بأن يجعل طريقهم على قواته المحاصرة لمدينة الحديدة ليعلموا ان مهمتهم فات أوانها وامر قائده بأن يطلب منهم المشاركة في حصار الحديدة لان الجميع تحت الطاعة السعودية فاعتذر قائدها بانه ارسل الى صالح فسهل طريقهم الى الدربهمي الذي به معسكر صالح .

وصلت الاخبار الى الامير حمود بأن حملة قوية في طريقها من (صنعا) لنجدة المحصورين في الحديدة فخرج للاقاتها وخيم في قرية القطيع وكتب للعمال السعوديين بأن يستحثوا جميع غزو قحطان والدواسر وعسير بالوصول اليه في القطيع فحضروا جميعهم ، ومكث ينتظر ، وعيونه توافيه بأخبارهم اولا بأول ، ولما علم بدنوهم نهض للاقاتهم ، والتحم معهم في موضع يسمى المكيمنة ، عند ملتقى وادي سهام وجاحف وبعد قتال عنيف استسلم اكثر الحملة وغنمت جميع اسلحتهم وخيلهم ومعداتهم ، فبعث بخمسها الى الدرعية . وصلت الاخبار الى حامية الحديدة المحصورة بهزيمة حملة النجدة فتلاشى كل امل لهم في فك الحصار ، ففاوضوا حمودا في الاستسلام فدخل بها في موكب الظافر ، واعلن فتحها باسم الامام سعود ، واشار على الموظفين السعوديين باحصاء ما وجد في بيت مال المدينة ومستودعاتها ، واظهر شعار دعوة التوحيد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتنبيه بالصلاة في أوقاتها الى غير ذلك .

لم يبق تحت يد صالح الا مدينة بيت الفقيه وبعض البادية وظل يعيش على امل وصول نجدة من عبدالوهاب يستولي بها على مدينة زبيد وينتظر ما تسفر عنه مكاتباته في الشكوى من حمود وتعدياته ، وحمود قد استشرت مطامعه ، فهو يخطط للاستيلاء على مدينة زبيد ، ويتصل بأهل بيت الفقيه لاستمالتهم، وانما في دهاء وحذر ، ثم عزم على بعث سرية الى جهة زبيد باسم اعانة صالح على اخذ المدينة ، علم صالح فرفع الى عبد الوهاب موضحا ان حمودا لم يكتف بأخذ مدينة الحديدة فها هو يشفعه بالتمادي لاخذ مدينة زبيد ثم جمع من لديه من الغزو ، واضاف اليهم مجاهدي من بقي تحت طاعته وسار على جناح السرعة الى زبيد فخيم أمام سور المدينة ، فاذا قائد حمود

معسكرا في الناحية الاخرى ، فتعافل عنه واثار الحرب على القلعة ، وهو لا يعلم ان الاتصالات قد تمت بين قائد حمود وبين العامل ووافق عليها حمود نفسه وتتلخص فيما يأتي :

١ ــ يتعهد له حمود بسلامة جميع امواله وممتلكاته .

٢ ــ ان يسهل خروجه سرا من القلعة ، ويهيىء له الجمال التي تحمل اثقاله وامواله ويضمن سلامته .

٣ ــ ان يظل نائبه في القلعة مدة شهر كامل وبعد الشهر يسلمها .

ونتيجة لهذا الاتفاق السري بعث حمود بجدة لقائده ، وتعليمات جديدة تقضي بالتظاهر في العزم على قتال صالح وجنده ، وفعلا عبأ القائد جيشه وصف صالح جنده وكاد القتال ان يبدأ فتوسط بعض المراقبين السعوديين بالصلح على ان يعود كل من قائد حمود وصالح الى جهته ، ما دام ان عامل امام صنعاء زبيد لا يزال يعمل بمقتضاه وعلى حمود ايضا ان يرفع بدوره بالواقع ، على ذلك عاد صالح الى بيت الفقيه وانسحب قائد حمود الى بعض الجهات موريا كأنه عائد الى جهة الحديدة وظل يتربص انتظارا لانتهاء الاجل لتسلم القلعة والمدينة .

مكث صالح في بيت الفقيه ينتظر نتيجة ما تسفر عنه رسائله الى عبد الوهاب وحمود في قلق نفسي وخوف معنوي لتصرفاته ، وما سوف يلقيه عنه عبد الوهاب ويظهر انه قد وطن النفس ان يرضى او يتمنى ان تكون زبيد بدلا عن الحديدة لصالح اذا كان ولا بد من حل وسط .

وصلت رسائل صالح الى عبد الوهاب بعد ان عاد من نجران وانتظر حلول الموسم سنة ١٢٢١ هـ ليجتمع بالامام سعود ويشرح له وجهة نظره حول حمود ، وحج عبد الوهاب وافضى بما يراه عن تصرفات حمود وشكاوى صالح ، (وان حمود يتظاهر بالطاعة وليس هو منها في قبيل ولا دبير) وانه يرجو تقوية جانب صالح حفظا للتوازن في تهامة اليمن ، ولم يكن عبد الوهاب قد علم بسقوط الحديدة في يد حمود ولا باستيلائه على مدينة زبيد التي تسلمها قائده بعد الاجل المضروب بموجب الاتفاقية السرية . وانتهى الاجتماع بأن يرسل عبد الوهاب طامي بن شعيب على راس قوة كافية تعين صالحا على الاستيلاء على الحديدة ثم زبيد .

علم حمود بدنو حملة طامي بن شعيب ومهمتها ، وخشي ان يأمر باعادة الحديدة وزبيد الى صالح فظل في المقعد المقيم ، وانما تصرف بروية فتوجه الى مدينة زبيد التي استلمها قائده قبل برهة يسيرة واخذ العهد من مشائخها وعلمائها ووجهائها للامام سعود ، واعلن شعار دعوة التوحيد ، وامر الموظفين السعوديين بجرد واحصاء مخلفات الحكومة السابقة وعمل في ذلك ما عمله في موجودات بيت مال الحديدة وانتظر على احر من الجمر ما يأتيه على يد طامي .

وصول طامي : وصل طامي الى قرية الدربهمي من منطقة صالح ، وكتب اليه راجيا تحديد الزمان والمكان للاجتماع والتفاهم فحدد مكان الاجتماع ووقته في قرية اللاوية على مسافة فرسخين من بيت الفقيه وبعد الاجتماع عاد كل منهما الى مكانه وافضى الى اصحابه بما يأتي :

١ ــ قال صالح ان طامي جل ما يطلبه ويقصده هو تحصيل المال لا مناصرة الدين .

٢ ــ وقال طامي : كنت اظن صالحا احد رجلين، اما رجل صاحب دين فيصبر على البلوى والغرابيل حتى يصل الى طلبه. واما صاحب دنيا فيسمح للجنود بما عنده ، ولم يكن احد الرجلين .

لقد اراد صالح بعد ذلك ان يظهر ضعف موارده لطامي فطلب منه قرضا ، فاجابه طامي : وصلنا بامر الامام عونا لك وجندا بين يديك ، تكتبنا في ديوان جهتك ، وتجري لنا ما تجريه على غيرنا ، وها نحن عذرناك في الرواتب وانما نطالبك بصرف الارزاق حتى تستغني عنا : فلم يجد منه استجابة . فانتظر اياما ثم كتب لحمود يقول : (وصلنا بأمر الامام نجدة لصالح على ان نعينه على اخذ الحديدة وزبيد وحيث وصلنا وقد ملكتهما فانت امير من امراء الامام سعود لا يحسن منا قتالك حتى نرفع اليه ، ويقع العمل منا ومنك بما يأمر به .

لقد كان يتوجس غير ذلك فاذا رسالة طامي تبدد مخاوفه ، وتمنحه شيئا كثيرا من الطمأنينة والامن الروحي ، فتنفس الصعداء ، وافرخ روعه واحتفى برسوليه محمد بن احمد المتحمي ومحمد بن علي الشعبي

ثم كتب معهما الجواب الآتي ـ بعد التمهيد والمجاملة : (ما اقدمنا على اخذ الحديدة وزبيد الا لما كانت عزيمة صالح ضعيفة ولا عنده جند ولا قوة ، فخشينا ان يقوى امام صنعاء ويصعب بعد ذلك اخذهما . وهما الآن تحت تدبير الله ثم الامام ، من يريد ان يوليه اياها فالنظر لله ثم له) . وذيل كتابه بالجملة الآتية : (مادمت اليه حاجتك من امور الدنيا والامتعة والمراكب فانا باذلون كلما تطلبون) . واجزل الصلة لرسوليه .

بعث الجواب وهو لا يكاد يصدق بما في كتاب طامي ، وهل هو حقيقة ام استدراج ، ثم هل يأتيه من طامي جواب وماذا يكون فحواه ؟ وظل على احر من الجمر ، ومضى ما يقارب الاسبوع واذا الجواب الاخير يصله ، فاذا مضمونه : يعرفه انه عزم على العودة الى عسير ، وانما يرغب ان يتعهد بعدم قيامه بأي حركة او تعدي على صالح او البلاد الباقية تحت نظره حتى يأتي الامر الاخير من سعود ، فسر حمود بهذه النهاية الحسنة ، واجاب على كتاب طامي متعهدا بكل ما طلبه وختم جوابه بقوله بانه مستعد بكل ما يعينه على السفر من مؤن وارزاق وانه هيأ سفينة تباريهم بحرا بالمتاع والهدايا .

وبوصول جواب حمود اليه اجتمع بصالح وطمأنه ورحل عائدا بعد ان اصلح بين صالح وبعض من يخشى منهم صالح الميل الى حمود .

بعد رحيل طامي توجه حمود الى مدينة زبيد ، واخذ في استمالة صالح الذي اصبح مهيض الجناح ، ثم استدعاه لمقابلته في مدينة زبيد ، وانتهى الامر بابقاء صالح عاملا على بيت الفقيه فقط وتفرغ بعد ذلك لارسال قوات الغزو الى جهات حيس وموزع والمخا وبوادي المخا التي طلب عاملها المصالحة على مال يدفعه لمدة محدودة الاجل ، فان وصله مدد فذاك والا سلم المدينة ، وبعد راي المستشارين واطلاعهم ابرم الاتفاقية وتسلم المال ورفع الى الدرعية بما منحه الله سبحانه من الاستيلاء على تلك الجهات ، فورده الجواب بالثناء على حسن طاعته . وبذلك اصبحت حدود البلاد السعودية تصاقب باب المندب وذلك في آخر سنة ١٢٢٢ هـ .

وفي اول سنة ١٢٢٣ هـ كتب امير جبل كوكبان الذي لا يبعد الا مسافة اربع ساعات عن صنعاء الى الامير حمود برغبته في الدخول في دعوة التوحيد والسمع والطاعة لسعود بن عبد العزيز فرحب بطلبه ، وبعث اليه بقوة تحميه فيما لو اراد امام صنعا الاغارة عليه .

لقد كان تفاقم العداء الشخصي بين عبد الوهاب وحمود المعوق الفعال لتقدم مسيرة النهضة الاصلاحية والدعوة السلفية في جنوب الجزيرة بعد ان وصلت طلائعها الى جبل كوكبان في المشرق الجنوبي والى باب المندب في الجنوب الغربي ففي النصف الاخير من تلك السنة اشتد الخلاف بينهما وتطور الى عداء سافر ، واخذ عبد الوهاب في الكتابة الى (الدرعية) بما يتراءى له من تصرفات حمود ، وحمود بدوره يكتب بتدخلات عبد الوهاب في شؤون المنطقة العائدة الى امارته والحد من نشاطه في نشر الدعوة الى غير ذلك ، وكانت السياسة السعودية ـ ولا تزال ـ سياسة اسلامية رفيعة ومن مناهجها حسن الظن بأهل الطاعة حتى يثبت ما يريب ، فراى الامام استدعاء حمود ثم احضار عبد الوهاب وتنقية الموقف بينهما ، فخامر الشك قلب حمود واخذ في التسويف مرة والاعتذار بمشاغل اليمن اخرى ، فكتب اليه : (عليك مقابلتنا في الموسم) فبعث حمود بالخراج مع رسالة يلتمس ويرجو العذر عن القدوم في تلك السنة ، فعاد اليه الجواب بضرورة المقابلة في مكة المكرمة في موسم الحج وعندما حان الحج بدلا من ان ينصاع لواجب الطاعة ويرحل بعث ابن اخيه يحيى بن حيدر معتذرا ومستطلعا الحالة في نفس الوقت ، فحج وسلم على الامام فسأله عن عمه فأخذ في الاعتذار له فقال له : (عليك ابلاغه بالحضور والا فهو العصيان) . فاتصل بعد ذلك بغالب بن مساعد ـ سرا ـ الذي هو على اتصال بالاتراك وبمحمد علي ، وبعلم ان امر السلطان قد صدر قبل هذا التاريخ بسنة الى محمد علي بغزو الحجاز ، وان ما اخره الا انشغاله بتصفية امر المماليك ، ومن المعروف ان كل غزو يسبقه اتصالات وتمهيدات ، والعمل على فتح جبهة او جبهات جانبية ، وغالب من عرف بالتقلب ، فنرى رسول حمود يعود بسرعة الى ابي عريش ويأخذ

حمود في الاستعداد وعلى اثر ذلك يصل الى اليمن مندوب مصر اسمه يوسف القبطان ، ثم يتم الصلح بين امام صنعاء وحمود الذي يتنازل عن بعض مكاسب الدعوة في كوكبان والمخا لقاء بعث الامام المذكور له بمرتزقة من همدان وغيرهم ثم يأخذ في استمالة ابن اخيه منصور بن ناصر عامل صبيا فيغويه فينضم اليه ، ويتظاهر بالعصيان العلني ، فيرفع عبد الوهاب للامام سعود ، وازاء ذلك العصيان السافر صدر الامر الى عبد الوهاب بالتقدم لحرب حمود .

علم حمود بتحرك عبد الوهاب ، فاستدعى مرتزقة همدان ثم امر بالنفير العام على اهل امارته وهو مقيم في بلدة الزهرة يزجي الحشود الى مدينة ابي عريش وعندما علم بنزوله من طود الراة سارع الى ابي عريش وامر وزيره حسن بن خالد بالتقدم بالجيش الى صبيا .

قوات الجانبين : ١ ـ يقدر ابن بشر قوات عبد الوهاب بخمسين الف مقاتل .

٢ ـ ويقدرهم صاحب « نفح العود » بأنهم فوق عشرين الف مقاتل .

٣ ـ يقدر صاحب « نفح العود » جيش حمود بسبعة آلاف مقاتل من المشاة وثلثمائة فارس .

٤ ـ يذكر ابن بشر ان حملة بحرية اشتركت في المعركة بغارة على مؤخرة حمود ودخلت مدينة جازان واعتقد ان تقدير ابن بشر مبالغ فيه ، كما ان تقدير صاحب « نفح العود » اقل من حقيقة تعداد جيش حمود والاقرب الى الحقيقة ان جيش عبد الوهاب لا يزيد على العشرين الفا وان جيش حمود عشرة آلاف

وفي أول شهر جمادى الاولى سنة ١٢٢٤ هـ نزل عبد الوهاب من عقبة مناظر وتقدم حمود ببقية جيشه من ابي عريش الى مركز تجمعاته بصبيا ثم نهض منها وضرب معسكره بظاهر قرية ام الخشب مما يلي قرية السلامة العليا .

واقبل عبد الوهاب في تؤدة واناة حتى خيم في ميل وادي بيش قبال جيش حمود على مسافة خمسة اكيال شرقا ، وظل كل منهما ينتظر هجوم الآخر ، في تحسب وحساب لكل خطوة ، حتى علم حمود ان عبد الوهاب قد عزم على تدبير خطة للتقدم من معسكره بطريق الحزن الى صبيا ليقطع خط رجعته ؛ ولو تم ذلك لكانت خطة بارعة ، فاراد ان يشعره بيقظته لما يدبره فبعث رعيلا من الفرسان للاغارة على معسكره فنشب القتال بينه وبين فرسان عبد الوهاب ، فانهزمت خيل حمود والتجأت الى معسكرها وسادا مرج والمرج في المعسكر وانما عرف حمود كيف يعيد الهدوء والنظام في معسكره ثم اخذ طول ليله في تدبير خطة هجوم انتحاري على معسكر عسير خاصة الذي يتوسطه مخيم عبد الوهاب .

وفي فجر يوم الاثنين الموافق ٢٩ جمادى الآخرة تقدم في خيرة فرسانه ومشاته في سرعة وتصميم صوب خيام عبد الوهاب ومعسكر عسير . ويقول ابن بشر : ان الهجوم وقع قبل استعداد عبد الوهاب للملاقاة وانه حصل قتال كاشتعال النار ، وثار الرهج وارتفع النقع حتى لم يعرف الرجل رفيقه القريب ، وتنبه المعسكر المترامي الاطراف واقبل من كل جانب على الاشتراك في القتال فانهزم حمود وجيشه ، وفي ذلك الهجوم صرع (عبد الوهاب) ولم يشعر احد الجيشين بمصرعه ، واندفعت جيوش عبد الوهاب وراء المنهزمين كالسيل العارم واللجب المتلاطم ، والتفت حمود فاذا لم يبق حوله الا جماعة من ذوي الحمية والحفاظ فشق بهم طريقا الى معسكره بعد اليأس من الحياة فالفى المعسكر خاليا مقفرا لا تنس فيه نامة ولا تتنفس في ارجائه نسمة ، وكان الوقت صيفا ، والريح عاصفة تسفي الغبار الذي يحجب ضوء الشمس فوق رهج المعركة وعثير النقع ، فانسحب من المعسكر في سرعة صوب الجنوب ، والمطاردة تتعقبه وتتعقب فلول جيشه حتى وصل صبيا في آخر ذلك اليوم ، فتوقف بظاهر البلدة ، ولم يبق من جيشه معه الا العدد اليسير ، وبينما هو يتجرع مرارة الهزيمة في صمت ووجوم اذ اقبل عليه ابن اخيه منصور بن ناصر وفي يده مرآة مما يزين بها لجم الخيل ، قائلا : وصل الي الآن رجل يحمل هذه المرآة يذكر انه وجد فارسا مقتولا وفرسه واقفا بازائه فاخذ المرآة ووصل بها الى ميدان المعركة: وبما اني اعرف ان هذه المرآة هي زينة فرس عبد الوهاب فبدون شك انه هو القتيل ، فصمت حمود لحظة

ثم قال : ان انجلت هذه المعركة ـ مع ما نالنا من الهزيمة ـ عن قتل عبد الوهاب ، فكل امر بعده جلل، ثم رحل من ساعته الى أبي عريش فدخله مع شروق الشمس فوجد المدينة قد غادرها سكانها ولم يبق فيها الا سكان حي الدرية ـ اسرة الامير ورهطه ـ وقد هرب الجيش الاحتياطي الذي ابقاه فيها الا الاقل ، ولو كر الجيش المنتصر تلك الليلة أو ذلك اليوم لاستولى عليها بدون قتال ، وانما قتل قائده افقده حسن التصرف في استغلال مكاسب المعركة .

وفي اثناء المعركة افتقد الجيش قائده فاخذ في البحث حتى عثر على جثمانه وفرسه واقفا عند راسه بدون رشمة ولا لجام فواروه الثرى ، واتفق بقية القادة على ارسال رسول الى قريبه طامي بن شعيب الذي يقود الحملة البحرية التي نزلت في مدينة جازان وبوصوله ولوه القيادة موقتا ورفعوا بالواقع الى الدرعية وتقدموا الى صبيا فاستولوا عليها صلحا ، وبدلا من ان يتقدموا الى مدينة ابي عريش ساروا الى قلعة ضمد وبعد ان اقاموا على حصارها عشرة ايام عادوا الى عسير ، مما جعل صاحب « نفح العود » يعلق على تلك العودة بعد ذلك النصر ودون تحقيق الغاية بما معناه انها عودة غير مخلصة .

انقضت بقية سنة ١٢٢٤ وسنة ١٢٢٥ والغارات التاديبية تتوالى على حمود ، وقارن هو بين ماضيه في جلال الطاعة وعز الدعوة وبين حاضره في غارات وقتال من الشمال ، ومصانعة لامام صنعاء وتنازلات اقليمية لمكاسب النهضة الاصلاحية السعودية ومعطيات الدعوة السلفية ، مع ما يستنزف موارده من رواتب واعطيات للمرتزقة من همدان وغيرهم ، والذين يدينون بولائهم الروحي لامامهم اصدق من ولائهم لدراهمه ، يضاف الى ذلك ان غزو محمد علي الى مستهل عام ١٢٢٦ لم يتحقق آنذاك كما كان اغراء البعض على حسابه . كل ذلك اعاد اليه صوابه فاتصل بامير صعدة ليبذل وساطته لدى الامام سعود في عودته الى سابق عهده ، وماضي ولائه ، يقول صاحب « تكملة كتاب نفح العود » : (ودخلت سنة ١٢٢٦ هـ فمن محمد بن القاسمي امير صعدة في اصلاح ذات البين وتلافي ما وقع واجلب عليه الحين ، بين سعود وحمود ، وتم الصلح والسداد على ما يرام) ويقول صاحب كتاب « اللطائف السنية » : (وتم الصلح على ان يبقى على تهامة ويعتزي اليهم) . ونلاحظ ان ذلك لم يرق لامام اليمن فاثار الحرب ضد حمود على حدود حيس وكحلان وغيرها حتى تمكن حمود في عام ١٢٢٩ من دحر قواته في موقعة مختارة .

كما لم يوافق ذلك هوى والي مصر محمد علي الذي كان على وشك تنفيذ المخطط العثماني الرامي لغزو الحجاز تمهيدا للقضاء على النهضة الاسلامية الصحيحة .

لقد وصل محمد علي الى جدة في شعبان سنة ١٢٢٨ بعد سقوط المدينة المنورة في يد ابنه طوسون واستيلائه على مكة المكرمة والطائف غدرا بمساعدة امير مكة غالب بن مساعد بدون قتال .

وراى محمد علي انه لن يحصل له النصر المرتقب الا بشطر الجزيرة وعزل شمالها عن جنوبها ، فتقدم من الطائف على راس قواته في سنة ١٢٢٩ فلم يصل الى بلاد عسير الا في ٣٠ ربيع الاول سنة ١٢٣١ بعد قتال يشيب له الوليد .

فاضطر حمود كما اضطر غيره الى مصانعته ومكاتبته ولم يجبه محمد علي الا على رسالته الرابعة اجابة بلهجة المترفع المبطنة بالتقريع .

وفي شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٣٠ عاد محمد علي الى مصر بطريق الحجاز ، وفي ثلاثين من شهر شعبان القى حمود القبض على ابن اخيه يحيى بن حيدر ـ الذي اشرنا قبل هذا ـ انه اتفق بـ (غالب بن مساعد) واودعه السجن ، فتوجه علي بن حيدر ومنصور ابن ناصر ابنا اخوي حمود مغاضبين الى قائد محمد علي ، حسني باشا بمكة المكرمة وشكوا من تصرفات عمهما وطلبا المساعدة على اقصائه عن الامارة، فاكرمهما ووعدهما بمساعدتهما بعد الا نتهاء من حرب نجد .

في اول سنة ١٢٣١ ثار العسيريون بقيادة محمد بن احمد المتحمي على جيش محمد علي فانسحبت فلوله برا الى الطائف وبحرا من ميناء القنفذة الى جدة .

● الدولة السعودية الاولى ●

علم ابراهيم بن محمد علي بثورة عسير ـ وهو يحارب في نجد ـ فاصدر امره لقائده في الحجاز حسني باشا بالتقدم الى جهة عسير وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٣٢ فتقدم واستولى عليه فاختفى قائد الثورة محمد بن احمد في جبل تهلل ، وبعد ان هدات الاحوال في عسير عاد حسني باشا الى الحجاز وبعودته ظهر محمد بن احمد من مخبئه ، ونادى بالجهاد ضد الغزاة ، وهاجم الجيش الذي قاده حسني باشا ، فلم يحالفه التوفيق ، وهزم ثانية ، وعمل المال عمله ، فتفرق الناس عنه ، فاضطر الى الاعتصام في معقله ، ثم اتفق مع زميله زعيم قبيلة بني مغيد بن مجثل ، على استدعاء حمود ابي مسمار الذي يتفق معهما في الولاء للنهضة الاصلاحية ، وفي بعض الغزاة الواغلين .

استجاب حمود لندائهما وبعث جيشا الى عسير بقيادة وزيره حسن بن خالد وفي اول بلدة رجال المع التقى بجيش لمحمد علي بقيادة القائد جمعة وعلي بن حيدر ومنصور بن ناصر فالتحم معه في معركة انتهت بهزيمتهم وتراجعهم الى مركز انطلاقهم في بلاد حلي ابن يعقوب .

فوالى تقدمه حتى ارتقى جبل تهلل الاشم ، وهناك تحرج موقفه فاستنجد اميره حمودا الذي تقدم بنفسه على راس جيش قوي ، فتراخى عزم المعارضين واقبل الموالون ، فاستولى على جميع بلاد عسير فاذا جيش اخر لمحمد علي ، بقيادة سنان آغا ومنصور بن ناصر يتسنم عقبة شعار صاعدا لقتاله فاسرع للقائه ، والتحم معه في معركة طاحنة قرب قرية الملاحة من بلاد بني مالك ، انجلت عن ابادة ذلك الجيش وقتل سنان آغا ومنصور بن ناصر .

وتجمع مصادر تاريخ الجنوب ، بان حمود توفاه الله بعد ايام من انتهاء تلك المعركة التي خاض غمارها وقد ابتدات به علة المرض وان وفاته كانت في يوم الاثنين الموافق ١٤ ربيع الاول سنة ١٢٣٣ هـ ولم تشر تلك المصادر الى اسم اليوم ولا الى التاريخ الذي دارت فيه رحا المعركة ، كما انها لم تشر الى اي علاقة او ارتباط بين استيلاء حمود على عسير وبين المعركة الرئيسة الدائرة بين الدولة السعودية ومحمد علي . وهنا تساءل :

١ ـ في اي يوم واي تاريخ ـ على وجه التحقيق ـ دارت رحا معركة (الملاحة) بين حمود وسنان ؟!

٢ ـ هل توفي حمود ابو مسمار ـ حقيقة ـ في ذلك التاريخ اي في ١٤ ربيع الاول ١٢٣٣ ؟!

٣ ـ هل كان استيلاء حمود على عسير جزءا من مخطط معركة الدفاع الرئيسة ، ام انتهاء فرصة مع اندفاع خاص منه كما نفهم من تلك المصادر ، واستجابة لنداء وافق رغبة ومطمح وهوى ؟!

واقول بكل تواضع ، انه بعد مضي ١٦٠ سنة ـ وبفضل الله تعالى وعونه اكون اول من اكتشف الحقائق الاتية :

١ ـ ان معركة الملاحة كانت على وجه التحقيق في يوم الخميس الموافق ٢٤ ربيع الاولى سنة ١٢٣٣ .

٢ ـ ان صحة تاريخ وفاة (حمود ابي مسمار) في يوم السبت الموافق ١٠ ربيع الثاني سنة ١٢٣٣ لا في يوم الاثنين الموافق ١٤ ربيع الاول من تلك السنة .

٣ ـ ان استيلاء حمود على عسير هو من ضمن مخطط الدفاع السعودي ، وانه بالرغم من تلك الايام الحالكة والمعارك الدائرة في قلب (نجد) لم تنقطع اتصالات الدولة الام عن البلاد التابعة لها كما ان تلك البلاد لم تتخل او تقصر عن ولايتها للدولة السعودية ، وان معركة الملاحة هي معركة فرعية من معركة المصير الواحد ضد الغزاة .

والدليل على ذلك هو دليل مشاهد مقروء ، يتالف من رسالة تاريخية جوابية من وزير حمود ابي مسمار الى الامير عبد الله بن سعود بن عبد العزيز السعود على رسالة موجهة الى حمود قبيل وفاته . وهي اشبه ما يكون بتقرير مرفوع من قائد احد الميادين الى القائد العام عن معركة (الملاحة) والاجراءات الحربية ، والادارية التي تمت بعدها ، كما تشير رسائل متبادلة قبلها بين (العاصمة) وحمود .

وها هو نصها الحرفي : بسم الله الرحمن الرحيم .

من حسن بن خالد الى الامير عبد الله بن سعود

ابن عبد العزيز آل سعود .. واياه بالباقيات الصالحات سلام الله عليكم ورحمته وبركاته : وبعد فموجب الخط ابلاغك السلام والسؤال عن حالك احال الله عن الجميع كل مكروه وحسن بن شداد وصل الخطوط التي صحبته وصلت ، والحمد لله على عافيتكم .

وكان وصول الخطوط بعد أن اختار الله للشريف (حمود) ما عنده ، وانتقل من هذه الدار الفانية الى الدار الباقية : على أحسن حال (...) وكان وفاته لعشر مضين من شهر ربيع الاخرى . فالله المسؤول ان يرحمه ، ويكرم نزله ، فلقد مات مجاهدا في ذات الله.

وكان وفاته بعد أن جمع الله بيننا وبين اعداء الله من الترك وغيرهم ، لاربع وعشرين مضين من شهر ربيع الاولى ، واخذ الله اعداء الله من الاروام ، واستولى على كل ما معهم ، وعلى ما جروه من المدافع والقنابر ، وقتل مقدمهم سنان آغا كما اخذ القرى وهي ظالمة « ان اخذه اليم شديد » وقتل من الاتراك اكثر من الف قتيل والحمد لله وحده صدق وعده ، ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده .

وتوفاه الله بعد ان اخذ الله الجنود الفاجرة على يديه . وبعد ذلك من كان من العساكر من الجنود الذي جمعهم من أهل الدينار والدرهم رجعوا الى بلادهم ، واخذهم الله كما اخذ الترك .

وبعد نفوذهم اعاننا الله على جمع شمل المسلمين وعاهدوا الجميع من عسير وغيرهم على العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، والموالاة والمعاداة والسمع والطاعة في العسر واليسر .

ومن بعد وجهنا المسلمين الى من تمتن من اهل الردة ، من اهل وادي شهران من اهل تندحة ودمر الله جملة قرى في وادي تندحة وشهران ، وبلاد عسير وحال تخط الخط والسجن ملآن من اشرار اهل الردة، وباشات الترك ، والخيل التي بايدي كل من والى الترك بايدينا ، واخذنا حلقة من راينا اخذ حلقته ، وتاريخه وقد عاهدنا جبيدة ورفيدة اليمن ، بعد أن اخربنا ديار من اراد الله وعاهد جميع شهران وبني شهر ، وعاهد جميع بني بشر وبالاحمر والاسمر ، وصار حد المسلمين الى شريف وسنحان ، وهم يكتبون الينا ، ورجال المع عاهد الجميع على العمل بكتاب الله ، وسنة رسوله ، كما قد ذكرنا لكم .

وتاريخه والمناخ الذي نحن فيه قد اجتمع فيه من المسلمين اكثر من عشرة آلاف ، وصدرت ونحن مستعينون الله ومستنصرونه ومثورون لجهاد اعداء الله نسأل الله الثبات في الامر ، والعزيمة على الرشد، ونسأل الله ان ينصر دينه وكتابه « وما النصر الا من عند الله » .

وقد بلغ استيلاء هذه الطائفة الكفرية على الوشم والقصيم ، وسدير ، ودخولهم اضرما ، واضطراب العارض ، وهذه ثمرات الذنوب ، نسأل الله ان يغفر لنا ذنوبنا ، واسرافنا في امرنا ، ويثبت اقدامنا ، وينصرنا على القوم الكافرين .

والعبد المسلم لا يستوحش في طريق الهدى لقلة سالكه ، والاعتصام بالله والتمسك بحبل الله هو راس النجاة ، ولا ينبغي للمسلم ان يفتقر الى غير الله ، نسأل الله الهداية الى الصراط المستقيم .

جواباتكم صحبت محمد الحويك وصلت وقت وفاة الشريف ، وارسلنا الخط الذي منكم اليه الى الولد احمد بن حمود ، وصدر اليكم جوابه وهو معاكم انشاء الله ، وقائم بغاية الهمة في جهاد اعداء الله ، نسأل الله ان يثبته ويسدد خطاه وان يأخذ بناصيته الى ما فيه الخير ، والولد شبيب وصل الينا بعد الحرب (نحو عشر كلمات غير مفهومة لتآكل الورقة) . انتهى .

ان سقوط ضرمى هو في ١٧ عشر ربيع الاخر سنة ١٢٣٣ ، ونقدر ان الرسالة كتبت في شهر جمادى الاولى الذي بدا حصار الدرعية في ٢٩ منه .

لقد اشرنا في اول هذه المحاضرة الى الرسالة التاريخية الصادرة من الامام عبد العزيز بن محمد الى اهل المخلاف السليماني ـ منطقة جازان حاليا ـ قبل ١٨٠ عاما ، والان نختمها بالرسالة الصادرة من احد ابناء ذلك المخلاف الى حفيده عبد الله بن سعود بن عبد العزيز .

جازان **محمد بن احمد العقيلي**

قالوا في عدد :

المملكة العربية السعودية

الادب السعودي الحديث

ومجلة الثقافة الدمشقية

بقلم : سمر روحي الفيصل

ليس في وسع المرء دراسة الادب السعودي ، او غيره من الاداب من غير ان يطلع اطلاعا دقيقا على الاعمال الابداعية وفي حالة الادب السعودي بالذات يطغى على الدارس ركام الدعاوى القائلة بطغيان الاتجاه الكلاسيكي المفرق في محافظته الى درجة التعصب • ان الواقع لا يقول ذلك ، ولا ينطق باتجاه وحيد الرؤية ، بل هو اقرب ـ اذا شئنا التبسيط ـ الى الحداثة المعروفة عند ادباء الكويت واليمن الشمالي والجنوبي ، ما عدا البحرين التي تتميز باتجاه اكثر تقدمية تحمل مجلة ـ كتابات ـ لواءه • وعلى اية حال فان هذا الحكم ينبغي ان يؤخذ في دلالته العامة ، لاننا لم نطلع اطلاعا دقيقا على الادب السعودي الحديث ، وان كانت بشائر هذا الادب ممثلة في مجلتي ـ الفيصل ـ و ـ المجلة العربية ـ • ولعلها مناسبة حسنة تلك التي جعلت مجلة ـ الثقافة ـ الدمشقية تغادر سورية الى السعودية بحثا عن صورة الادب السعودي في بلاده ، فقد كان محصول هذه الرحلة هو مواد العدد الخاص بالادب في المملكة العربية السعودية ـ تشرين الاول ـ ١٩٧٧ ـ ، وهو عدد مزدوج في ـ ١٢٨ ص ـ من القطع الكبير •

يحدد الشاعر مدحة عكاش رئيس تحرير مجلة الثقافة مسار العدد على النحو التالي : ـ في هذه البداية الخيرة ما كنا لنعير الموضوعات كبير الاهمية ، من حيث حداثتها او قدمها ، ذلك لاننا ـ وبكل تواضع ـ نهدف الى ما هو

اسمى من ذلك · أجل نهدف الى ازالة هذا التعتيم المطبق الذي احاط ادب المملكة وادباءها ـ بسبب او دون سبب ـ وتقديم هذا الادب الى قراء العربية في كل صقيع مـــن اصقاعهم ـ ·

الواضح ـ اذن ـ ان بعثة مجلة الثقافة ، المكونة من الشاعر مدحة عكاش رئيس التحرير ، والاستاذ ابراهيم حريب المشرف على المجلة ، لم تكن تضع في حسبانها رسم جانب واحد من الادب السعودي الحديث ، لانها تسعى الى غاية ابعد من ذلك هي التعريف بالادب السعودي عموما · ولعلها ارادت القول ان الادب السعودي الحديث متعدد الاتجاهات بين محافظ ومتردد وحديث ، ولا يجوز للقائم بمهمة التعريف به ان يقتصر على جانب دون اخر · والحقيقة اننا ـ على الرغم من اختلافنا الجزئي مع هذه الرؤية ـ نؤمن بجدوى هذا العمل ، انطلاقا من معرفتنا بأن الادب السعودي الحديث بدأ يتردد في الاعلان عن نفسه بين الاعوام ١٩٢٤ ـ ١٩٤٥ ، وقد تسمح لنا معرفتنـــا الاولية بهذا الادب القول ان صورة الادب الحديث بقيت مترددة حتى اواسط الستينات حيث اخذت الاتجاهـــات الادبية تتمايز بين حديث ينظر الى العصر ، ومحافظ يرى الحاضر بعين الماضي ·

ان عدد مجلة الثقافة ينم عن هذين الاتجاهين معا ، ومن هنا استطيع القول بأنه وفق في رسم صورة الادب السعودي الحديث والمأمول ان تتابع المجلة جهودها لاضفاء الحركة على هذه الصورة · وقد يحسن التنبيه الى سبع دراسات ضمنها العدد الخاص ، لانها متميزة في الافصاح عما يعتمل في نفوس الادباء السعوديين من طموحات تؤول في نهايتها الى العمل الدؤوب لتطوير وعصرنة الادب في مستوياته كلها · من هذه الدراسات ما كتبه الدكتور منصور ابراهيم الحازمي بعنوان ـ معالم التجديد في الادب السعودي ـ ، وما كتبته اسيمة الشهيل بعنوان ـ الادب السعودي الحديث في الميزان ـ ، وما كتبه عزيز ضياء بعنوان ـ اصالة الانتماء الى الارض ·

من اكثر دراسات العدد دقة ما كتبه الدكتور منصور ابراهيم الحازمي بعنوان ـ معالم التجديد في الادب السعودي بين الحربين العالميتين ـ · ولعل الفقرتين اللتين بحث فيهما دور المؤثرات الخارجية ، ودور النقد ، هما المؤشر الحقيقي لدراسته · فقد رأى ان الادباء السعوديين صحوا فجأة فلم يجدوا عندهم ادبا يواكب الادب المعروف في الاقطار العربية المجاورة لهم ، ولم يستطيعوا في الوقت نفسه تحقيق النقلة الحضارية ، ولهذا راحوا يفتحون ابوابهم للتأثيرات الخارجية · غير ان الجديد هنا هو الروح التي ابعدتهم عن التأثر بالاداب الغربية ، وجعلتهم يقتربون من ادباء مصر وادباء المهجر ، للصلات الدينية والعربية ، ولان الساحة لم تكن مستعدة بعد للتعرف على الاداب الغربية دون الفرق في لجتها حتى الضياع · ويبدو للدارس ان هذه النظرة تحتاج الى تعديل طفيف هو ان ادباء مصر انفسهم تأثروا في الفترة نفسها بالاداب الاوروبية والفرنسية بخاصة ومن هنا كان الادباء السعوديون يتصلون بالاداب الغربية بعد مرورها على الجمارك العربية · والدليل على قولنا ان الدارس يلمح تأثير الحركة الرومانسية العربية في الشعر السعودي بين الحربين ، وبخاصة تأثير مدرسة ابولو وشعراء المهجر ، بحيث لا ينجو اديب ـ في الغالب ـ من هذه الرومانسية في صورتها العربية لا الغربية ·

على اية حال فان تخلف النقد السعودي ، وانصرافه الى المعارك الشخصية ، وبعده عن الروح المنهجية ، قد ساهم هو ايضا في اطالة عمر البحث عن الشخصية الادبية السعودية النابعة من خصوصية البيئة · لم يكن للنقد السعودي بين الحربين وجهة او قضية عامة · كان ضائعا في خضم النقدات الصحفية ، متأثرا بالنقد الادبي في مصر · ولعل الانتعاش الذي لحقه في العقد الاخير كفيل بتحطيم صنم التردد الى غير رجعة · وفي اعتقادي ان هذا النقد انتهى الى نتيجة طبيعية هي استحالة الفصل بين الادب العربي ، وان الاتجاهات المحلية ما هي الا صورة مصغرة للاتجاهات الادبية في العالم العربي ·

حمص ـ سمير روحي الفيصل

رسائل الاصدقاء

اخي د. عيسى الناعوري امين عام مجمع اللغة العربية في عمان المحترم

تحية الاخوة والصداقة وبعد :

استهل رسالتي هذه مهنئا لك بسلامة العودة من ايطاليا بعد ان شاركت في مؤتمر « سبوليتو » حيث كنت وحدك في المؤتمر بسبب عدم تمكن زميلك الآخرين من المشاركة بسبب بدء الدراسة في جامعة عمان كما اهنئك بنجاحك في المحاضرة التي القيتها باعتبارك الرئيس لاول جلسة عقدت في المؤتمر وهي بعنوان « حركات التجديد في الشعر العربي » منذ العصر الاندلسي الى اليوم مع ترجمات ايطالية عديدة لنماذج مختلفة من الشعر العربي من مختلف العصور . وكانت محاضرتك كما ذكرت لي في رسالتك المؤرخة في ١٨ـ١٠ـ١٩٧٧ في مدينة روما ، وفي مركز ثقافي عربي يديره صديق عربي هناك ، حيث كان جمهور المستمعين كبيرا .. وكانني اذكر انك في المؤتمر الماضي شاركت في موضوع مماثل لهذا الموضوع .

هذا ولا بد ان انوه بان عدم مشاركتك في مؤتمر الادباء في ليبيا سيترك فراغا كبيرا بين الادباء المشاركين في هذا المؤتمر .

كما اهنئك بالموافقة على اصدار مجلة المجمع الناشىء في عمان لان المجمع بهذه الظاهرة سيمارس نشاطه بالانفتاح الثقافي على بقية المجامع في دمشق والقاهرة وبغداد .. اضافة الى المحافل والمجامع في العالم .

صدر الجزء الثامن من الموسوعة الموجزة في حرف الدال ، هذا الجزء جاء حافلا هذه المرة بحيث ضاعف في حجمه وقد تمكنت من اضافة عدد كبير من الصور التوضيحية له بحيث زادته جمالا واناقة ووضوحا . ولا يفوتني ان اذكر بهذه المناسبة بانني تحدثت في جملة ما تحدثت في هذا الجزء عن كتابك « دراسات في الآداب الاجنبية » وديوان صدح وديوان دنيا على الشام للشاعر سليم الزركلي وديوان ميخائيل الله ويردي ، ومسرحية « ديوجين للشاعر المسرحي عدنان مردم بك، كما تحدثت عن الشاعر الايطالي دانتي، والكاتب الروسي دستويفسكي ، والكاتب الانكليزي ديكنز ، وعن الدميري والدوالي ودحية الكلبي .. وغيرهم كثير ممن ستجد تراجمهم في هذا الجزء من الموسوعة .

اخيرا احييك مرة اخرى تحية الوداع على امل اللقاء في الرسائل القادمة وقد حملت الانباء السارة الجديدة .

حفظك الله ايها الاخ الكريم

حسان الكاتب

● « مسجد قرطبة » ابداع عمراني خالد وصرح حضاري عربي تليد ، محاضرة القاها الاستاذ (محمد كامل فارس) يوم ١٩٧٧/١٢/٢٢ في المركز الثقافي الاسباني ـ رافق المحاضرة صور شفافة ..

● مجلة « بحوث جامعة حلب » اصدرت عددها الثاني والمجلة سنوية تعنى بالبحوث العلمية والدراسات غايتها المساهمة في ربط البحث العلمي بعملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية (هيئة تحرير المجلة هم السادة الدكاترة : خالد الماغوط ـ لرئاسة التحرير (وكيل جامعة حلب للشؤون العلمية) ـ تاج الدين ضياء من كلية الهندسة ـ عبد الكريم شحادة من كلية الطب ـ عبد الرحمن ابريق من كلية الطب البيطري ـ صالح القادري من كلية العلوم ـ اسماعيل سفر من كلية العلوم الاقتصادية ـ عباس فارس من كلية الزراعة ـ وهيب طنوس من كلية الآداب ـ فرج الله فتحي ـ مساعد التحرير ـ العدد يقع في (١٠٢) صفحة من القطع الكبير ـ تهانينا لجامعة حلب والى مزيد من النشرات العلمية المفيدة .

● «جيل الثورة» المجلة الفصلية الطلابية للدراسات الفكرية والسياسية والاقتصادية والتي تصدر عن المكتب التنفيذي للاتحاد الوطني لطلبة سورية اصدرت عددها الجديد (صيف وخريف عام ١٩٧٧ ب / ١٣٠ / صفحة من القطع الكبير ، تضمن العدد دراسات وبحوثا في مواضيع شتى تهم الطلبة كما تضمن ملحقا للادب والفن

● تشكلت لجنة وطنية للتعريب في القطر العربي السوري تعمل مع وزارات التعليم العالي ، التربية ، الثقافة ، الاعلام ، الصناعة .. وذلك لتوحيد المصطلح العلمي العربي الموحد والتحضير للمؤتمر الرابع للتعريب ـ الدكتور شاكر الفحام وزير التربية قال : ان هذه اللجنة ستكون افضل حل لمشكلة تعدد المصطلحات العلمية بمختلف الاختصاصات، كما ان الحجج ومختلف الجهود التي بذلت وتبذل في ميدان التعريب ستقدم العون للعاملين في مجال الترجمة والتعريب من جهة وستفسح المجال امام الباحثين العلميين في استخدام افضل المصطلحات العلمية ، من جهة اخرى سيكون مجمع اللغة العربية في دمشق هو المرجع الاساسي للتعريب في القطر ..

● صدرت في بيروت حديثا ـ الطبعة العربية الجديدة من كتاب « مرجع اليونسكو الجديد في تعليم العلوم » وقد نقله الى اللغة العربية ـ احمد شفيق الخطيب ـ بكالوريوس في العلوم ـ ماجستير في الآداب والناشر لهذا الكتاب مكتبة لبنان ويمثل هذا المرجع الكتاب الاكثر رواجا بين مطبوعات اليونسكو في العالم اذ ان الطبعة الاولى منه ترجمت الى حوالي ثلاثين لغة

ويبع منها اكثر من مليون نسخة ، وها هو في متناول العالم العربي يضع بين ايدي المعلمين والتلامذة وسيلة من انجع الوسائل لنشر المعرفة وتنمية تعليم العلوم ـ يضم هذا الكتاب اكثر من ٤٠٠ صورة وجدول ويتوزع بين اربعة فصول هي موارد ومرافق وطرق تعليم العلوم ، العلوم الطبيعية ، علوم الاحياء ـ علوم الارض والعلوم الفضائية وفيه مسرد الف بائي الذي يتضمن قائمة باللغات العربية والفرنسية والانجليزية لحوالي ١٦٠٠ كلمة من الكلمات التي جاء ذكرها في الكتاب والتي يكثر استعمالها في تعليم العلوم .

● «بوميات مدينة كان اسمها بيروت» كتاب صدر حديثا في بيروت للشاعر نزار قباني .. وهذا الكتاب يعتبر الثاني عن بيروت للشاعر القباني بعد مجموعته الاولى التي صدرت قبل شهور بعنوان « الى بيروت الانثى ، مع حبي » .

● انست مجلة « الثقافة » بزيارة الاستاذ نزار الزين صاحب مجلة العرفان الذي قدم الى دمشق لبعض شؤون مجلته .. فاهلا وسهلا بالاستاذ الزين في دمشق .

● « شعر التفعيلة » كتاب جديد للدكتور «النعمان القاضي » استاذ الادب العربي في جامعة القاهرة ـ يعالج فيه شعراء التفعيلة والتراث . الكتاب يبين علاقة الشعر الجديد بالتراث العربي والموشحات الاندلسية .

● صدر في دمشق الجزء الثامن من المجلد الثاني من « الموسوعة الموجزة » في حرف الدال تاليف حسان ابن بدر الدين الكاتب وقد طبع بمطابع الف باء الاديب بطباعة انيقة فاخرة ويقع في (١٥٢) صفحة من القطع الكبير .

● معرض الكتاب الدولي ، اقيم في الرياض في المملكة العربية السعودية اشترك فيه ١٢٠ ناشرا عالميا وعدد كبير من الناشرين العرب بالاضافة الى جميع دور النشر السعودية وقد استهدف المعرض الوقوف على احدث ما ابدعه الفكر البشري في الفنون والآداب والعلوم الطبيعية من خلال الكتب المعروضة ..

● عبد المعين الملوحي ـ الشاعر والكاتب العربي السوري اصبح بروفسور شرف في جامعة بكين، ذكرت هذا النبا وكالة انباء الصين ، وقالت : انه في احتفال اقيم في بكين منح الشاعر الملوحي هذا اللقب ، والملوحي يعمل في مجلة « بكين ريفيو » الاسبوعية كخبير لغة .

● الكاتب الفرنسي «جان ماري روار» فاز بجائزة « انترالیه » الادبية لعام ١٩٧٧ وذلك عن روايته الثالثة والاخيرة « نيران الحكم » .

● في باريس صدرت مؤخرا الترجمة الفرنسية لمجموعة القصص القصيرة الاخيرة للكاتبة الالمانية (ش) ـ آنا سيغرز ـ وهي بعنوان « هذه الزرقة . تماما » .

● في دراسة جديدة حول مسرحية « عطيل » للشاعر الانكليزي «شكسبير» يقول الدكتور البروفسور « بورمان » ان قصة هذه المسرحية ليست لشكسبير وان هذه القصة قد ظهر اصلها في مجموعة قصص طبعت عام ١٥٦٥ لكاتب ايطالي يدعى « سبينتو » ولم تترجم الى الانكليزية الا في القرن الثامن عشر . ويتحدث الكاتب عن القصة الاصلية فيقول : انها تحكي قصة مراكشي قتل زوجه البريئة التي تزوجته بالرغم عنها لان صديقا يخبره عن علاقة قامت بين الزوجة وقائد السفينة المسافرين على ظهرها وذلك بعد ان استطاع هذا الصديق سرقة منديل زوجة عطيل ووضعه في مكان ما في طريق عطيل ، ويقتنع هذا بخيانة زوجته ويقتلها ويأتي العقاب في النهاية حين يندم البطل عطيل ويفصل صديقه عن العمل فيلجأ هذا الاخير الى المحاكم التي تحكم على عطيل بالنفي .. وهناك يقتله اقرباء زوجته ومن ثم يموت صديق البطل بتهمة اخرى ضد صديق آخر ، ويعلق البروفسور بورمان على ذلك بقوله : « لقد استطاع شكسبير ان يحول القصة الى مسرحية جيدة .. وان يلتزم بوحدة الموضوع ووحدة الزمان والمكان .. ويضيف ان شكسبير لم يقدم حبكة جديدة ولكنه وجد في القصة موضوعا جيدا يربط بين

الفكر والعاطفة فاعـاد صياغتها لتقـدم على المـسرح خلال ساعتين .

● «الفكر العربي في عصر النهضة» ١٧٩٨–١٩٣٩ كتاب صدر حديثا عن دار النهار للنشر في بيروت والكتاب من تاليف البرت حوراني الموضوع اصلا باللغة الانكليزية قام بترجمته الى اللغة العربية « كريم عزقول » .

● اقيم يوم الخميس (الساعة ٣٠ره) الواقع في ٨–١٢–١٩٧٧ م الموافق ٢٧–١٢–١٣٩٧ هـ مهرجان خطابي كبير في صالة نقابة المعلمين في مدينة حماه ، قام بـه المركز الثقافي العربي في حماه بالتعاون مع نقابـة المعلمين لتكريم المربي الكبير الشـاعر عمر يحيى الذي قضى قرابة ستين عامـا في التعليم على جميـع مستويـات المـدارس والمعاهـد والكليـات التربويـة والتعليميـة .. وكان مديرا للتربية في حمـاه .. كمـا تخرج على يديه آلاف الطلبة الذين بلغوا مستويات عالية في مختلف ميادين الحياة ..

وقد حضر المهرجان الـيد الدكتور شاكر الفحام وزير التربية في الجمهورية العربية الـسورية وقدم كاس التربية الى المحتفى به ، كما قدم الـيد الاستاذ منـير بريخان ، درعا تذكاريا بهذه المناسبة الى الشاعر عمـر وقدم مدير التربية لمحافظة حماه «الاستاذ محمد سعيد القلفة » درع الطلائع وقدمت نقابة المعلمين ومديريـة التربية باقات من الورد والزنبق ..

وكذلك حضر المهرجان اسرة دار الثقافة في دمشـق (بمجلتيها الاسبوعية والشهرية) المؤلفةمن الاستاذ مدحت عكاش صاحب الـدار ورئيس التحرير – واسماعيـل عامـود وعلي عيد حسـن والاخ الاستاذ علي المصـري وذلك لتهيئة هذا العدد الممتاز الخـاص بالشاعر المربي عمر يحيى .

كما حضـر المهرجان جمع غفير مـن معلمي ومثقفي ومعلمات وسـيدات المدينة ولفيف من جمهورها الشـعبي والقيادي والرسمي ..

هذا وقد تكلم في هذا المهرجان الدكاترة والاساتذة والشعراء السادة : عبد الرزاق الاصفر (مـدير المركز الثقافي العربي في حماه) وليد قنباز ، سعيد قندقجي، عدنان قيطاز ، سهيل عثمان ، هاشم صيادي (عـن مدينة حماه) نذير الحسامي (عن مدينة حمص) عمـر الدقاق (عميد كلية الآداب في حلب) محمود فاخوري (عن جامعة حلب) عدنان مردم بك (عن مدينة دمشق) سليمان العيسى (عن لواء اسكندرون السليب – اذ ان الشاعر عمر يحيى درّس في انطاكية قبل سلخ اللواء) الذي لم يحضر المهرجان لظروف قاهرة بل ارسل برقية حب شعرية منشورة في الصفحة (٥٠) من هذا العدد ثم القى الشـاعر المحتفى به قصيدة رائعة من شعره ..

اندريه مالرو

الكاتب الكبير ، اندريه مالرو الذي لا تزال امته تكرمه ..

اطلق اسمه على مكتبـة باريسية عامة ، ومع حفلـة التدشين كان افتتاح معرض كبير لمؤلفات مالرو تكريما لذكراه .

واخر كتبه – الرجل العارض والادب – الذي كان مالرو ينقحه عشية وفاته ولقد قال – هـذا اخر كتبي – وخط فيه وصيته الكاملة ضد الموت .

اما هو لم يمت طالما يحيا كل يوم في احتفام جديد .

العادات والتقاليد اللبنانية

موسوعة ضخمة في جزئـين للعالم خاطر وهو موضوع ارتبط في صورة رئيسية بكتابات الكاتب المتعددة حتى انه يعتبر اكثـر المراجع علمية في هذا المضمار الموسوعة تراث ارض وشعب شامل لعادات وتقاليد جميـع اللبنانيين الى اي مذهب ينتمون.

بول فاليري في روسيا

ظهرت منذ ايام الطبعة الاولى لدراسة عن بول فاليري وضعها فاديم كوزدفوي درس فيها شعر فاليري وحياته .

استقبلت الصحافة الروسية الكتاب بحماسة كبيرة .

لكن امرين عجيبين يواكبـان هذا النجاح العظيم .

اولهما ان السلطات السوفييتية لا تزال مانعة المؤلف ٤٠ سنة من الذهاب الى فرنسا .

وثانيهما : ان الكتاب الذي طبع على ٢٥ الف نسخة وبيع اولا في المكتبات المخصصة للاجانب فقد من المكتبات في صورة مفاجئة.

علم النفس التربوي في قاموس اصدر الدكتور فريد نجار مع

مجموعة من الاختصاصيين عام ١٩٦٠ قاموسا قيما في علـم

وازاء ما لاقاه هذا العلم من تطورات في السنوات الاخيرة عكف الدكتور نجار على استكمال قاموسه ليواكب مستحدثات علـم النفس الحديث .

القاموس يصدر في الاشهـر القليلة القادمة .

محتويات العدد

رقم الصفحة	الموضوع :	الكاتب :
١	ـ وفـاء للرجال	مدحة عكاش
٢	ـ كلمة لجنة الاحتفال	عبد الرزاق الاصفر
٣	ـ رحلة عمـر	وليد قنباز
٨	ـ طائر الدوح ياحماه (شعر)	نذير الحسامي
١٢	ـ صديقي عمـر	هاشم الصيادي
١٨	ـ انت قيثار امة (شعر)	سعيد قندقجي
٢٣	ـ عمر يحيى / المعلم العالم	د. عمر الدقاق
٢٨	ـ عمر يحيى (شعر)	عدنان مردم بك
٣٠	ـ عمر الشاعر	محمود فاخوري
٤٤	ـ يا أبا الشعر (شعر)	عدنان قيطاز
٤٧	ـ هـذا الانسان	سهيل عثمان
٥٠	ـ برقية حب (شعر)	سليمان العيسى
٥١	ـ برقيـات	
٥٢	ـ قصيدة .. عمر يحيى	عمر يحيى
٥٥	ـ اثر التعليم والمكتبات والمطابع في الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية	التحرير
٥٩	ـ الى الشاعر عمر يحيى (شعر)	انور الجندي
٦٠	ـ عمر .. بنا يحيا (شعر)	محمد منذر لطفي
٦٢	ـ تصوف الشعر (شعر)	محمد حسن منجد
٦٥	ـ الدولة السعودية الاولى (٣)	محمد بن احمد العقيلي
٧٤	ـ قالوا في عدد ادب المملكة العربية السعودية	سمر روحي الفيصل
٧٦	ـ رسائل الاصدقاء	حسان الكاتب
٧٧	ـ نافذة على العالم	
٨٠	ـ محتويات العدد	